عبد الاله أحمد

مراقيون

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (3214) السنة الثانية عشرة

الخميس (13) تشرين الثاني 2014

WWW. almadasupplements.com

8

النقد القصصي عند

الدكتور عبد الإله احمد

(ساكون لنفسي ابداً)

د. نادية العزاوي

مع الدكتور علي جواد الطاهر وغازي العبادي وهيثم عبد الامير وعبد الجبار عباس

بدأت عمليات الرزم والنقل، والعيون تتنقل بين روائع سلسلة (الهلال) و(إقرأ)، وامهات الروايات والمسرحيات العالمية الترجمة (الحرب والسلم)، (الجريمة والعقاب)، (عناقيد الغضب)، (بيت الدمية).. إلخ . والدواوين الشعرية، والكتب النقدية والسياسية، والمذكرات، والمعاجم، واسطوانات السمفونيات العالمية، ورزم الصحف والمجلات التي كانت يوما ما عُدته في (رسالة الماجستير) و(اطروحة الدكتوراه)، وهو يلتهم السطور والصفحات بحثا عن قصة هنا او هناك لمشهورين ومغمورين، لم يرد لهم ذكر إلا في كتبه.

-١-

النهاية .. من زوايا عامة

كانت مكالمة متأخرة – على غير عادته –، في العاشرة ليلا تقريباً ابلغني اخي ان (د. عبد الاله احمد) على الهاتف.

– الو.. اهلا دكتور، كيف الحال؟

– اهلا نادية، (ثم توتر صوته).

باختصار: تحدد موعد سفري خلال اليومين القادمين، الطبيب عراقي – وانا سعيد بهذه النقطة–، وقد طمأنني بأنها ايسر عمليات (القلب)، ولكني قلق وغير مرتاح، لم اتوقع ابداً، ولم اخطط لن تكون نهايتي بالقلب.

– دكتور، متى جرت المصائر على وفق مخططاتنا؟

– صحيح، ربما خامرني شك في يوم من الأيام، ان تكون نهايتي بالسرطان، اما القلب فلا.

لا اشعر ان قلبي متعب، ما زلت ممتلئا بالحيوية، اصعد الى شقتي في الطابق الخامس على السلم ولا استعمل المصعد.

– لا داعي للقلق، عمليات القلب لم تعد مخيفة كالسابق، التطور التقني والـ.. (قاطعني):

– ليس هذا موضوعنا، اتصلت بك لابلغك بامر محدد ارجو ان تنفيذه بحذافيره، إليك الوصية:

كل ما املك من شقة واثاث وسيارة، هي ميراث شرعي لأولاد اخي إلا المكتبة ومحتوياتها فمسؤوليتك انت (ونهلة النداوي)، اوصلاها الى جهة او مؤسسة علمية تفيد منها، مكتبتي زهرة عمري، انفقت عليها وفيها دمي واعصابي وعصارة ايامي، لا اريدها ان تتبدد او تضيع.

ربما (نهلة) الآن مشغولة بمسؤوليات اسرية ثقيلة، فالمهمة منوطة بك، الكتب والمجلات والصحف تُهدى، اما اوراقي المخطوطة فانشري منها ما ترينه مناسباً.

ساترك رقم هاتفك واسمك عند اولاد اخي، وساعطيك ارقام هواتفهم لتتولي الأمر من بعدي.

(ارعبني صوته وقراره واقشعر شيء في داخلي وجفل ، وفلم املك إلا ان اتمتم).

– استاذي، لماذا هذه النبرة الحزينة؟ ستعود بصحة وعافية، وتتولاها بنفسك، (باقي واعمار الطغاة قصار).

(تهدج صوته واحتقن).

– لا، لا اتوقع ذلك، القلب ليس لعبة، (توقف لحظة ثم اكمل).

ما يؤلمني الان احساسي بانني اهدرت اشياء كثيرة:

السنوات، الاحلام ، المشاريع.. وتركت قارب حياتي يسير بغير الاتجاه الذي اريد.

– إذا ستعيده الى مساراته الصحيحة بعد عودتك.

×××

واجريت له العملية في عمّان، عز عليه ان يغادر من غير مرافق معه، لقد ضاعف هذا من إحساسه بالوحدة والغربة، نجحت العملية سريريا، واجتاز مرحلة النقاهة، ثم عاد مسرعا الى الوطن بجرح غائر ينز في صدره، كما ينز جرح الوطن في الاعوام الساخنة بعد ٢٠٠٣م.

وبدأت سلسلة الانتكاسات الصحية، الخفقان الشديد، التحول، الهزال، الشحوب، الاجهاد، ضيق في التنفس، الجرح الذي يأبى الاندمال، فقد صوته الامتلاء ، غابت الصوى عن العينين، وبدأ العدّ التنازلي.

(قال لي مرة قبل ان يداهمه المرض):

– اشد ما يخيفني ان اموت وحيداً في الشقة، ولا يعثر عليّ احد إلا بعد اسابيع.

فيما بعد ابلغني ابن اخته، انه تلقى اتصالا منه في الساعة التاسعة يطلب نقله الى المستشفى، ولكن حظر التجوال الليلي، وبعد المسافة، ووحشة الشوارع الموبوءة بالقتلة واللصوص، حالت دون تلبية الطلب، وارجيء الامر الى الصباح الباكر.

يقول ابن اخته:

– ما ان فتح الباب في السادسة صباحا حتى سقط مغشياً عليه، ثم ذهب في الغيبوبة التي لم يعد منها ابداً.

(في الاقل تحققت له الامنية الاخيرة، واخذه الموت بحضور الجميع).

في الخامسة مساءً جاءني صوت (نهلة) في الهاتف الأرضي مخنوقا بالغبرة:

– فقدنا استاذنا.

– لا، لا ، لا..

(رحل كما تموت الاشجار واقفة، لم يطأطئ لاحد، ولم يجامل. رحل وترك لي المهمة، السؤال: كيف اتصرف بالمكتبة؟ لمن اهديها؟ وكل مؤسسات بغداد مشرعة على احتمالات السلب والنهب والحرق من جديد في سنوات دموية منفلتة، ومن يستاهل ان يرث هذه التي حنى عليها القلب والضلوع؟

قال لي ابن اخيه ونحن نشرف على نقل محتويات المكتبة:

– من أجل هذا الكتاب قاطعني ستة اشهر ولم يكلمني.

(نظرت الى الكتاب: إنه الجزء الثاني من (اساس البلاغة) للزمخشري، طبعة الهيأة المصرية العامة للكتاب، فالجزء الأول فقد خلال عملية نقل اثاثه الى الشقة الجديدة وحمّله يومها مسؤولية الاهمال).

إستلزمت مني معاينة المكتبة عدة زيارات لها مع اولاد اخيه، في التنقيب الأول بحثا عن اوراقه المخطوطة عثرت على درع النقد الذي تسلمه من اتحاد ادباء بابل في امسية حميمية عقدت له في ٢٠٠٣/٩/٤م حدثني عنها بسعادة غامرة.

حينئذ فقط اختمر في ذهني الخيار: إهداء المكتبة الى جامعة (بابل)، فـ (بابل) منحته في لحظة ما من حياته محبة وفرحة افتقدها عند الاخرين.

وهكذا تم الاتفاق مع عميد الاداب (د. عدنان العوادي)، الذي تربطه به صداقة راقية واكثر من مشترك ثقافي.

×××

في الموعد المحدد للاستلام، وعلى اعتاب الشقة المتربة، يتوسطها مكتبة كأسد رابض في عرينه تحيط به رفوف المكتبة، تمثل د. عدنان بصوت متهدج بالنشيج قول الجواهري:

لغز الحياة وحيرة الألباب
ان يستحيل الفكر محض تراب

وبدأت عمليات الرزم والنقل، والعيون تتنقل بين روائع سلسلة (الهلال) و(إقرأ)، وامهات الروايات والمسرحيات العالمية الترجمة (الحرب والسلم)، (الجريمة والعقاب)، (عناقيد الغضب)، (بيت الدمية).. إلخ . والدواوين الشعرية، والكتب النقدية والسياسية، والمذكرات، والمعاجم، واسطوانات

السمفونيات العالمية، ورزم الصحف والمجلات التي كانت يوما ما عُدته في (رسالة الماجستير) و(اطروحة الدكتوراه)، وهو يلتهم السطور والصفحات بحثا عن قصة هنا او هناك لمشهورين ومغمورين، لم يرد لهم ذكر إلا في كتبه.

(قال لي يوما، ان التدقيق والتحديق المستمر خلال جرد الصحف والمجلات بين مكتبات بغداد والقاهرة سببت له نوعاً من الارتجاج والزوغان في البصرة.

– ارتجاج في البصر لأجل وضوح في البصيرة، ليست قسمة ضيزي – على أية حالة–).

(فيما بعد حين اتيح لي قراءة دفاتر يومياته عثرت على هذا النص المكتوب بتاريخ ١٩٦٢/٤/٢٣، وهو في الثانية والعشرين من عمره:

(حين اقرأ صفحة من كتاب، احس ان اجزائي تتماسك، وارتفع ارتفع بما لا يقاس عن الدنيا، واحسني سعيدا سعيدا).

كانت لحظات اليمة شديدة الوقع عليّ، وانا اتابع التفريغ التدريجي لمحتويات المكتبة، ولم يبق الاّ مكتبه اسداً منكسراً هذه المرة وان تأبى على الزحزحة، ثقيلاً بثقل الشخصية التي احتواها لكثر من خمسين عاما.

كنت احس ان فصول تنفيذ الوصية بما انطوت عليه من مشاهد درامية داكنة، تبحث عن كاتب من طراز (تشيخوف) – مثلا – يعرف كيف ينكأ الجروح بمشارط لاذعة ولكنها حميمة.

×××

-٢-

مفعم تاريخنا البعيد والقريب بالنسيانات التي طالت كثيرا من الشخصيات وحين تفتش في هذه الذوات المنسية المقصية يمكنك ان تعثر على قواسم مشتركة بينها، ومنها:

الاغتراب عمن حولهم، الصراحة الحادة، الصلابة في الموقف إذ تختفي الوسطية والمرونة، فضلا عن تمردهم على السائد والمعتاد.

ولكن هذه الشخصيات غالبا ما تخفي وراء حدة مظهرها فيضا من العواطف، تعلن عن نفسها بكلمة حالية او ربما دمعة حين يستدعي المر ذلك، شخصيات بمثل هذه الصفات، يسهل وقوعها في حالة مركبة من (إساءة الفهم)، عبد الاله احمد بالضبط من هذا النمط، عاش منفعلا مع الآخر بسبب من ملابسات سوء الفهم وتبعاته، سوء فهمه للاخر من جهة، وسوء فهم الاخر له من جهة ثانية.

عبد الاله احمد (الانسان) المفتاح الذي تتأسس عليه كل النعوت الاخرى المكملة، اعني، الباحث والناقد والاستاذ الجامعي.. إلخ، الانسان الذي عليك ان تتقبله كلا متكاملا بطيبته وانفعاله، بتناقضه وانسجامه، باستقلاليته، بمشاكسته، بسموه، بعلميته عليك ان تقبل هذه الكتلة المتجانسة او غير المتجانسة ولا تعترض.

من هذه الكتلة التي قد تختلف كثيرا، في توصيفها وفي احكامنا عليها – إذا جاز للبشر اطلاق الاحكام على بعضهم البعض – تجلت في انسانيته في جملة مواقف، هي حصيلة مرحلة طيبة من التلمذة عليه اعتز بها، تلمذة امتدت فصارت صداقة انسانية وثقافية مع حفظ اللقب والرتبة والمكانة.

قال لي يوما في بعض حواراتنا المتشعبة – وحرب الشوارع والجثث المرمية على الازبال تسد علينا اي منفذ لأمل او طعم لحياة – قال:

– انا لم ايأس بعد من (العراقي)، ولن انفض يدي منه، فمازلت اراهن على الورقة الرابحة، على جوهر العراقي الجوهر الذي يتوهج فجأة في احلك الظروف من حيث لا تتوقع.

نعم لقد اشتغلوا علينا طويلا في الداخل والخارج، لتحطيم هذا الجوهر وطمسه، بالقتل والحصار والحروب والتزييف والتجهيل والتجويع والتركيع والتهجير والتعريب.. الخ. حتى نجحوا في تشويه المتن كثيرا، ولكن تمّردت عليهم وقاومتهم مساحات منه هي التي اراهن عليها، هذا الجوهر المسنود بإرث تاريخي عريق اذكى من ان ينساق الى حروب اهلية، إن العراقي كائن مسكون بحب الحياة، ومسكون بالسياسة من الولادة حتى الممات، فهو يحس جيدا بكواليس اللعبة القذرة، ولن تنطلي عليه الاقنعة والادوار الجديدة.

كيف سيتجلى هذا الجوهر؟ ومتى؟ واين؟ وباية طرق؟ لا املك اجابات محددة ولكني املك قناعات اقرب الى اليقين، امتحنتها ظروف الواقع العراقي الذي خبرته جيدا لنصف قرن.

يمثل عبد الاله احمد – صاحب المشروع التأسيسي في نقد القصة العراقية الذي اشاد لها عمارتها على حدّ تعبير استاذه علي جواد الطاهر في بعض إهداءات كتبه له – انموذج المثقف العراقي التقدمي المهدور، إذ تعاورت على تضييعه ظروف عامة وشخصية نجحت في تثبيطه وتحجيم إنجازه وصولا الى مرحلة (الصمت / الموت)، عوامل كثيرة اسهمت في صنع هذا المصير له ولأمثاله، منها، الواقع العراقي الساخن بانقلاباته وثوراته الدموية، قلق الاسئلة الفكرية والثقافية تقض مضجع المثقف التقدمي المحاصر بمؤامرات اقليمية وغربية، تسعى بقوة الى تدميره والاجهاز على ميوله الفكرية، التي امنت بالادب للحياة، وبالكلمة من اجل التغيير، فقد تفتح وعي هذه الاجيال من ابناء الطبقة الوسطى المتطلعة الى النهوض الثقافي في الخمسينات والستينات، وتشكلت ذائقتها على قراءات واعية للتراث العربي والعالمي في الشعر والقصة والمسرحية، وفي اجواء من الحرية النسبية، اتاحت إرساء تقاليد حضارية وثقافية متميزة في المجتمع العراقي، اسفرت عن نشاط ملحوظ في حركة المكتبات والمقاهي العصرية ودور السينما، فضلا عن الجامعات العربية والعالمية العريقة التي ارسلوا اليها في زمالات وبعثات دراسية في مختلف العلوم والمجالات، كانت ثمارها مواسم وارقة بالعطاء في العمارة والرسم والنحت والترجمة والتمثيل والنقد والرواية.. وغيرها.

لكن هذا المشهد الصحي الذي كان يمور بالمؤلفات والمعارض والعروض والمناقشات سرعان ما تفجر على خلفية احداث سياسية دامية بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ تصادم فيها مثقفون متورطون حتى النخاع بالتجربة السياسية، بانتماءات حزبية منظمة او بميول وطنية وتقدمية حرة، فكانت السجون، وكانت المجازر، والمنافي، والحصيلة النهائية: مثقفون مصلوبون على مفترق خيارات مرة: الغربة او الصمت او الانصياع لأحابيل السلطة والقبول بغسيل الادمغة، او – في احسن الاحوال – المراقبة بانتظار الذي يأتي ولاياتي. كان موقف د. عبد الاله الذي توقف عن استكمال مشروعه التاسيسي الجميل اقرب الى الخيار الاخير، فلم يكمل المتابعة المنهجية الدقيقة لمستجدات القصة العراقية، وهي تدشن تيارات واساليب جديدة، لم يكن مقتنعاً بها كثيرا ولا بجداوها بل كان مرتابا في تطرفها في عزل الأدب عن سياقاته الاجتماعية، وان كان – في الحقيقة – لم يتوقف عن قراءة الاصدارات الجديدة، ولكنه توقف فعليا عن نشر نقده لها لأنه رأى في كثير مما كان يصدر كما مجرداً يؤشر خواء فكرياً وتراجعا في نوع ودرجة الابداع وهو جزء من تراجع مجتمع كامل بانساقه الحضارية وقيمه الاجتماعية، ومثله الأعلى في تقييماته النقدية الاعمال الروائية والقصصية العالمية الخالدة، التي ظلت شاخصة في ضميره اعجابا وتقديراً ولكنه في الوقت نفسه اراد القصة العراقية ان تكون صوت نفسها وليست صدى للآخرين لكي لا تقع تحت طائلة الاستلاب الثقافي.

وطال انتظاره وصمته، ولم يسفرا إلا عن هدر مشروع ناقد بارز، هو في طليعة النقاد العراقيين، لقد انكفا على منجزه الأول، وتقوقع على حلمه القديم، ولم ينتج جديداً يوازي قديمه، فكانت خسارة كبيرة عززها رحيل مفاجئ.

رحم الله استاذي الوطني النظيف العراقي من مفرق رأسه حتى اخمص قدميه، الناقد المبدئي الذي سما بقلمه عن السقوط في سوق المجاملات والتهريج الرخيص، الباحث الجريء الذي ظل يجاهر بما يؤمن غير هياب ولا وجل، في زمن تداعى فيه كثيرون وخرجوا عن جلودهم وتنكروا لادوارهم وتواريخهم القديمة، والعزاء انه باق امثولة في معنى الاصرار والثبات علّى الموقف، تماما كما اراد سيد نفسه وقلمه.

من بين اوراقه عثرت على طلب مطبوع بالالة الكاتبة معنون الى (مجلس قيادة الثورة/ مكتب امانة السر)، ورد فيه:

"تحية طيبة وبعد فقد اتخذ مجلسكم الموقر.. بحقي قرارين بمنعي من السفر للتمتع بالاجازتين الدراسيتين اللتين منحتها لي جامعة بغداد، التي انا احد اعضاء هيئتها التدريسية لانجاز بحث الدكتوراه الذي اعده عن الادب القصصي في العراق. المسجل في جامعة القاهرة منذ عام ١٩٦٨، وقد صدر القرار الاول في لشهر العاشر من عام ١٩٧١ ، والثاني في الشهر العاشر من عام ١٩٧٤، وقد ترتب على القرار الاول، تاخر نيلي شهادة الدكتوراه الى الوقت الحاضر رغم مضي ما يزيد على السبعة اعوام على تسجيل بحثي دون ان يكون ذلك بسبب قصور مني او ظروف خاصة بي مانعة.

معاناة نفسية وآلام هائلة استنزفتني طيلة ثلاثة اعوام، وخاصة بعد ان انتهت المحاولات المضنية التي بذلتها، لاستصدار قرار آخر ينقض القرار الاول الذي اثار استغراب الجميع بالفشل، وقد ضاعف من هذه المعاناة النفسية والالام الهائلة التي عشتها طيلة الاعوام الثلاثة نمو إحساس ممزق لدي بالخيبة وبالحق الضائع، والظلم الذي لا اجد من يدفعه عني مع مرور الايام، رغم كثرة الاصدقاء ومكانتهم، وقدرتهم في التأثير، ورغم المكانة التي اشغلها في جامعة بغداد وفي الاوساط الادبية والفكرية.. ولقد ضاعف من ألمي ان جاء من يخبرني بان اضبارتي في (مكتب امانة السر) مكتوب عليها انني شخص غير مرغوب فيه كيف؟ ولماذا؟

إنني لم اتصور في يوم من الايام ان وطنيتي الصادقة ، وكفاءتي العلمية او نزاهتي وإخلاصي وصدقي وصراحتي، وهي صفات يعرفها في كل من اتصل بي ستؤدي الى موقف اهان فيه، بحيث اكون في وطني شخصا غير مرغوب فيه.. ولا اعتقد ان عدم انخراطي في تنظيم معين يقلل من مكانتي في بلادي، او ينتقص من وطنيتي بحيث يجعلني شخصاً غير مرغوب فيه..

إن ما يحز في نفسي وانا اكتب هذه الكلمات ان اجدني اتحدث عن وطنيتي وكفاءتي العلمية كمتهم يحتاج الى ما يؤكد وجودهما لديه، لكي يدفع ما يحيط وجودهما من شك..)).

من مقدمة كتاب (جذوة الروح.. ورمادها)

هذه الشخصيات غالبا ما تخفي وراء حدة مظهرها فيضا من العواطف، تعلن عن نفسها بكلمة حالية او ربما دمعة حين يستدعي المر ذلك، شخصيات بمثل هذه الصفات، يسهل وقوعها في حالة مركبة من (إساءة الفهم)، عبد الاله احمد بالضبط من هذا النمط، عاش منفعلا مع الآخر بسبب من ملابسات سوء الفهم وتبعاته، سوء فهمه للاخر من جهة، وسوء فهم الاخر له من جهة ثانية.
عبد الاله احمد (الانسان) المفتاح الذي تتأسس عليه كل النعوت الاخرى المكملة، اعني، الباحث والناقد والاستاذ الجامعي.. إلخ

عراقيون
من زمن التوهج

الدكتور عبد الاله أحمد والتأريخ لحركة الادب القصصي في العراق

ليس كمثل الأستاذ الدكتور عبد الإله احمد (١٩٤٠.٢٠٠٧) ، الكاتب والناقد ، والاديب ، والاستاذ الجامعي الذي رحل عن دنيانا في السادس عشر من مايس ٢٠٠٧ ، من وثق للأدب القصصي في العراق المعاصر . وبالرغم من عظم انجازاته ، وابداعاته في مجال الكتابة والنقد ، الا انه كشأن زملائه وأقرانه الادباء والمفكرين ، والشعراء والأساتذة ، والأكاديميين لم يحظ بما يستحقه من اهتمام ، وقد عاش ومات كما قال احد تلاميذه ، وهو حمزة عليوي في دائرة ((الصمت والعزلة)) .

د. ابراهيم خليل العلاف

لقد خسرت الحركة الادبيةوالثقافية في العراق والبلدان العربية ، بحق واحدا من نقادها و باحثيها البارزين ، كانت له يد طولى في الكثير من البحوث والدراسات والاطروحات الجامعية التي نجم عنها عدد كبير من الباحثين والاساتذة والدارسين الذين رفدوا جامعاتنا والجامعات العربية بالكثير من العطاء سواء في مجال البحث او التأليف او التدريس . وكان لعبد الاله احمد ، كما جاء في بيان نعيه الذي اصدره الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق ((فضل الريادة في توثيق الحركة القصصية)) وخاصة في كتابيه الشهيرين: ((نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨ .١٩٣٩)) و ((الادب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية)) . ومما يزيد من قيمة هذين العملين الرائدين ان الاستاذ الدكتور عبد الاله احمد ((لم ينهج نهج المؤرخ المكتفي بالتوثيق بل نهج منهج الناقد المحلل .. فاستطاع ان يعكس تطورات القصة العراقية ، وان يرصد رصدا دقيقا تياراتها الفنية وتنوعاتها وقيمها الفكرية والجمالية)) . وقد امتلك ، رحمه الله ((حضورا بينا في الاوساط الادبية)) ، وكان ((لآرائه وقع كبير في محافل تلك الاوساط وانشطتها لما اتسمت به من الجرأة والقوة)) . وما تركه الدكتور احمد يعد جهدا رائعا لم يظهر مثله في ((كتاب او دراسة اكاديمية تناقش وترصد تطورات هذا الفن وتحيط باساليبه المختلفة)) . وقد ظل الدكتور احمد بعيدا عن السلطة السياسية في بلاده ، فمزاجه الحاد ونفوره من الخطأ والمعايب ، وحرصه على قول الكلمة الصادقة حال دون ان ينال في حياته من التكريم والاشادة والتشجيع الا في مرات قليلة جدا ، لكن هذا لم يمنع من ان يظل استاذا متمكنا ، وباحثا جادا ، ومحاورا حقيقيا ، وقبل هذا انسانا طيبا وكريما .

ولقد قومه احد زملائه في التدريس وهو الاستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين بموضوعية عالية حين قال ان الدكتور عبد الاله احمد كان يتمتع بامكانات علمية عالية وحسناته ومزاياه في ((المنظور العلمي الجامعي او الانساني ، كثيرة ومهمة ، اولها موضوعيته في النظر الى الاشياء التي تخضع للدرس ، فهو لاينحاز فيها الا الى الابداع الذي يبحث عنه في النص ، قصة كانت او رواية ، دون ان يميل ميل المصلحة الخاصة او التعصب او الدخول في الرأي الشائع المشهور عن العمل الذي لايستحق الشهرة ، وقد طبعت هذه الموضوعية العلمية اعماله المنشورة وشهد له بها اساتذته في بغداد والقاهرة وزملائه وطلابه ، وتلمسها قراؤه ومتابعوه . كما امتازت جهوده في البحث بالمنهجية الاكاديمية الدالة على العقل العلمي المنظم ، والثقافة الجامعية العميقة ،)) ويقينا انه في هذا قد تأثر باستاذه ومثله الاعلى الاستاذ الدكتور علي جواد الطاهر رحمه الله ، والذي كان يزرع اسس المنهج العلمي ، والروح المنهجية في نفوس وعقول طلابه في كل خطوة من خطوات البحث في الدرس الاولي والجامعي .

كتب عنه صديقنا الاستاذ حميد المطبعي بضعة اسطر في الجزء الاول من (موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين)) ، والذي نشرته دار الشؤون الثقافية العامة التابعة لوزارة الثقافة والاعلام (العراقية) ببغداد سنة ١٩٩٥ يقول ان الدكتور عبد الاله احمد باحث وناقد في القصة ، فهو الدكتور عبد الاله احمد محمد صالح ، ولد في بغداد سنة ١٩٤٠ ، حاصل على دكتوراه آداب من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦ . عين استاذا في الاداب والنقد الحديث في كلية الاداب بجامعة بغداد ... منهجه في الحياة يقوم على الصدق مع النفس ، والصدق مع الاخرين)) . ومع انه كان صادقا مع نفسه ومع الاخرين الا انه لم ينل من الاخرين ما يستحقه من قبول واهتمام .

اما الاستاذ جميل الشبيبي فقد قال عنه بانه كان ((ناقدا موسوعيا في كتاباته المتميزة عن القصة القصيرة ، وكذلك الرواية العراقية . واهم صفة فيه علميته وقدرته على الحوار مع الاخر دون حساسيات)) .

وقد خلد باعماله النقدية اسماء الكثير من رواد القصة في العراق ، ونقب عن قصصهم وانتشلهم من وهدة النسيان وثبت اسماءهم في خارطة السرد في التاريخ العراقي المعاصر)) .

وكتبه تعد مرجعا اساسيا في الدراسات الفكرية والعلمية عن القصة في العراق . ويمكن القول بكل ثقة ان كتب ومتابعات الناقد عبد الاله احمد ((تؤسس لمبدأ ادبي وثقافي في العراق ينظر الى الادب والثقافة العراقية نظرة نسق متصل من الابداع)) .

وتحدثت تلميذته الباحثة العراقية الدكتورة نادية العزاوي في الجلسة الاستذكارية التي نظمها الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق (تموز ٢٠٠٧) عن استاذها الدكتور عبد الاله احمد قائلة : ((فجيعتي برحيله كانت اشد، كوني تلميذته)) . واضافت: كان الاولى بنا الاحتفاء به قبل رحيله .. نحن العراقيون لانجيد فهم اعلامنا ، والله لو كان عبد الاله احمد موجودا في مصر او لبنان لكان له شأن آخر ، كان الراحل لايحسن لعبة المجاملة على المستويين الشخصي والرسمي ، وكان متمسكا بثوابت فكرية فقد ظل مؤمنا بعمق بعراقيته منهجا ورؤيا .. وظلت القصة العراقية شغله الشاغل يشخص اسباب مساراتها ، صعودا وهبوطا ، كل ذلك برؤية نقدية صادقة)) .

لم يحدد احد من النقاد توجه عبد الاله احمد الفكري والسياسي ، لكننا نستطيع القول ومن خلال متابعة اعماله انه لم ينتسب لحزب معين او اتجاه فكري محدد وكان ذو نزعة (تقدمية) (واقعية) فهو اقرب الى اليساريين في نظرته الى الحياة والكون والمجتمع والانسان ، ويقرر الدكتور مالك المطلبي

جانبا من هذه الحقيقة في قوله ((ان الدكتور عبد الاله احمد كان اكاديميا صرف ، ووثائقيا يسمى الاشياء ولايحكم عليها وميزته انه غير راض على أي شيء)) .

حاول الاستاذ مهدي صالح الشمري في مقال له عن عبدالاله احمد نشر في جريدة الزمان (العراقية) ٢٨ من ايار ٢٠٠٧ ان يتغلغل في داخلية هذا الناقد والكاتب الكبير فوصفه بانه حاد الطباع ، ربما انعكس ذلك في التشدد في علاقاته مع زملائه وطلبته ، وقد اثر ذلك على مجمل حياته ، وحرمه من حميمية مودة الاخرين الذين قد يخرجون عن الموضوعية لمصلحة او مجاملة او علاقة اجتماعية .

وبشأن تعامله مع مادة دراسته ، وهي القصة والادب القصصي العراقي، فان الدكتور عبد الاله احمد ، تبنى توجه استاذه الطاهر فاقبل على دراسة الظواهر الادبية الحية ، والشخصيات الموجودة على قيد الحياة ولم يكن هذا التوجه في حينه ، أي في اواخر الستينات واوائل السبيعينات من القرن الماضي مستساغا في اقسام اللغة العربية بالجامعات العراقية ، خوفا من ان ينعكس ذلك سلبا على الناحية الموضوعية ، لكن عبد الاله احمد اقتحم الميدان مسلحا بنصائح ودعوات استاذه الطاهر . وقد اشار الى شيء من هذا القبيل في كتابه (نشأة القصة وتطورها في العراق (١٩٠٨ . ١٩٣٩) حين قال : ((واذا كان هناك من يرى خطورة ، في دراسة أدب معاصر، شديد اللصوق بالمدة التي يعيش فيها الباحث ، لما يمكن ان يؤدي اليه هذا اللصوق من ابتعاد عن الموضوعية التي يقتضيها البحث الاكاديمي)). الا ان هذا التوجه في المعاصرة له فوائد كثيرة منها وجود الاديب نفسه واصدقاءه واقاربه واعداءه ((تجمع وتناقش ، ورائدك الحقيقة ، وتنتفع من وسائل النشر المعاصرة الجرائد والمجلات والاذاعة والتلفزيون والافلام)) وهكذا يكون بحثك في جانب اواخر من جوانبه شهادات في واقع ادب معين في مدة من المدد من تاريخه يمكن ان تشكل مادة اولية تفيد باحثين يتناولون هذا الادب في فترات قادمة)) .

ويصف الدكتور عبدالاله احمد، الاديب العراقي ((بانه سريع الغرور ، سريع الشعور بانه حقق غاية بعيدة المدى ، وأصبح استاذا في اقصر وقت ، ثم انه كسول فاتر الهمة قليل المطالعة والكتابة بحيث لايأخذ مأخذا جديا ، ولا يأحذ مسؤولية تجاه فنه ، على المستوى نفسه من الجدية مما يمكن لمسه بسهولة لدى العديد من الادباء . في العراق ، ويكاد الامر فيه ان يكون صفة مميزة لاكثرهم)) .

في كتابه ((نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨ .١٩٣٩)) ، والذي هو بالاصل رسالة ماجستير التي تقدم بها الى جامعة القاهرة خريف سنة ١٩٦٦ باشراف الاستاذة الدكتورة

يصف الدكتور عبدالاله احمد، الاديب العراقي ((بانه سريع الغرور ، سريع الشعور بانه حقق غاية بعيدة المدى ، وأصبح استاذا في اقصر وقت ، ثم انه كسول فاتر الهمة قليل المطالعة والكتابة بحيث لايأخذ مأخذا جديا ، ولا يأحذ مسؤولية تجاه فنه ، على المستوى نفسه من الجدية مما يمكن لمسه بسهولة لدى العديد من الادباء . في العراق ، ويكاد الامر فيه ان يكون صفة مميزة لاكثرهم)) .

سهير القلماوي ، يؤكد على ان الباحث لايستطيع كتابة تاريخ القصة العراقية المعاصرة ، وبحدود العوامل المؤثرة التي أدت الى نشوئها بدون العودة الى دراسة القرن التاسع عشر ، هذا القرن الذي هو بداية النهضة الحديثة . كما ظهرت فيه اوائل طلائع الاصلاح مع اولى بوادر اليقظة الفكرية .. ويحدد عدة تيارات ثقافية شهدها العراق آنذاك اولها (تيار تقليدي) هو امتداد لتيار الفكر العربي القديم. وثانيها (تيار التحديث) الذي بدأت به الدولة العثمانية واستهدفت اعادة بنى الدولة بمؤسساتها المختلفة على اسس غربية وثالثها هو (التيار الغربي) الذي بشر بالفكر والثقافة الغربية . ويحدد مسألة مهمة وهي ان القصة الحديثة ظهرت في العراق متأخرة .

ويقف الدكتور عبد الاله احمد عند المحاولات البدائية العراقية في مجال كتابة القصة ، ويؤرخ لمجهودات سليمان فيضي ، وعطا امين، ويناقش القصة بين الحربين ويتناول (الاتجاه العاطفي) في القصة المتمثل في قصص يوسف متي وشالوم درويش و(الاتجاه الاجتماعي) المتمثل بقصص ذو النون ايوب و(الاتجاه الفردي) الذاتي وابرز كتابه عبدالوهاب الامين و (الاتجاه الرمزي) المتمثل بما كتبه نديم الاطرقجي ، و(الاتجاه الرمزي) المتمثل بما تركه خلف شوقي الداودي، و(الاتجاه التاريخي) المتمثل بقصص سليمان صايغ .. اما الرواد من القصاصين الكبار في رأيه فهم كل من محمود احمد السيد، وانور شاؤول، وذو النون ايوب، وعبد الحق فاضل .

وفي كتابه : (الادب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية)، وهو بالاصل اطروحته للدكتوراه المقدمة الى كلية الاداب بجامعة القاهرة سنة١٩٧٥ وقدنشرت ببغداد سنة ١٩٧٧ بجزئين ، يتعرض لواقع الادب القصصي ، منذ بداية الحرب العالمية الثانية ، واثر ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في طبيعة ما كتب من قصص ، والعوامل المؤثرة في الادب القصصي والاتجاهات التي كتبت بموجبها القصة العراقية والمتمثلة بالاتجاه التقليدي والاتجاه الرومانسي والاتجاه الواقعي ، ولم ينس الدكتور عبد الاله احمد ان يؤرخ للحياة السياسية في العراق وانعكاساتها في الحياة الادبية ، وموقف السلطة من الكتاب والادباء ، وجذور الواقعية السياسية في انتاج القصاصين العراقيين ابان الثلاثينات والاربعينات من القرن الماضي ، واخيرا تباشير انتاج جيل الخمسينات من رواد الادب القصصي . ولعبد الاله احمد رأي في جيل الستينات من الادباء الشباب فهو يرى بانه ((جيل ... كثير الصخب والادعاء ، يكتب لونا من الادب يختلف عن سابقيه ، وهو امر ليس صحيحا تماما)) .

ويتوج عبد الاله احمد أعماله باصداره ((فهرست القصة العراقية)) بـ(٣٢٩) صفحة من القطع الكبير، وهو جهد وثائقي مهم جدا للباحثين والمهتمين بهذا اللون من الوان الثقافة العراقية المعاصرة وقد صدر الفهرست ببغداد سنة ١٩٧٣ .

ولعبد الاله احمد كتب ودراسات اخرى مهمة منها على سبيل المثال نشره للمجموعة الكاملة لاعمال القاص الرائد المبدع محمود احمد السيد (بغداد ١٩٧٨) وكتابه (في الادب القصصي ونقده) (بغداد، ١٩٩٣) ، ودراسته (النقد القصصي في العراق : دراسة في نشأته وتطوره)).

يكفي الاستاذ الدكتور عبد الاله احمد، ان قدم للمكتبة العراقية ، من خلال كتبه ودراساته وفهرسه ، ما ساعد على فهم جوانب مهمة من تراثنا القصصي المعاصر ، ولا شك في ان المؤرخ يفيد من اعماله في تسجيل صفحات مهمة من التاريخ الثقافي العراقي المعاصر.

المصطلح

في نقد الأدب القصصي عند الراحل عبد الإلـــه أحمد

د. عباس رشيد وهاب الدده

مع خسرو الجاف وعبد الستار ناصر

مقدمة

يسعى هذا البحث إلى معاينة لحظة تاريخية على درجة كبرى من الأهمية، هي لحظة من لحظات تأسيس نقد الأدب القصصي في العراق، نهض بها الناقد الراحل الدكتور عبد الإلـه أحمد في جهده المتميز، في رصد الإبداع العراقي القصصي منذ طور التأسيس، وتوثيقه، وتشخيص جهات الفعل الإبداعي فيها، والاعلان عنه، إلى الحد الذي صار به جهد الراحل موجها من القراءة النقدية الأكاديمية في العراق، أو لعله ـــ وبحذر شديد ـــ من مؤسسي الشكل الأوفر شيوعا وتداولا من أشكال القراءة النقدية القصصية في العراق، أو في أقل تقدير هو مؤثر فاعل في توجيه مسارات تلك القراءة والبحث فيها. وسنوكل إلى تلك المعاينة ـــ في هذا البحث ـــ مهمة محددة، هي مقاربة المتن الاصطلاحي في في جهد الراحل .إن الوعي باستخدام المصطلح، ودقته، يعني ـــ بالضرورة ـــ وعيا متميزا بالحقل المعرفي المشتغل عليه، وما من وسيلة إلى التفقه بأصول ذلك الحقل،وفروعه، واستكناه مفاصله، إلا بالتماس وسيلة المصطلح، وان كشوفات الفاتحين في أي علم، تتم أولا عبر خطوات معرفةمسارب المصطلح فيه. (العلم والمصطلح) قرينان، يكتمل كل منهما بكمال الآخر، ويتهدده الاعتباط، ويودى بها إلى الاندثار، إن اتصف قرينه بتلك الصفات النقدية الحديثة السائدة، ما كان ليغيب قد عن تصور وهذا الذي صار مسلما به في الأعراف وتنظير الخطاب النقدي القديم؛ فالقدماء أدركوا عن خالص وعي، " أن مفاتيح العلوم مصطلحاتـــها، بل هي ليست مفاتيح العلوم فحسب، وانما هي خلاصة البحث في كل عصرٍ ومصر، ببداياتها يبدأ الوجود العلني للعلم، وفي تطورها، يتلخص تطور العلم. لعل القارئ يتفق معي، في أن (لحظة) الراحل عبد الإلـه أحمد، من اللحظات التي تعني زمنيا، (لحظات) أخر ومكانيا، بواكير الوعي النقدي في الأدب القصصي العراقي، وهي وان غيرها، في مشروع التأسيس، فإنها تظل اللحظة الأكثر صخبا، التي قمدت نسغها الفاعل في الحراك النقدي العراقي، بما تهيأ لها من امتيازات، يجمعها والبعد الأكاديمي الصارم، جامع عند هذا الحد، وبه، توافر مقومان مهمان زجـا بنا في مضايق هذا الموضوع؛ هما اللحظةالصاخبة، والوعي المصطلحي فيها. سينفرد هذا البحث، بمقاربة المتن الاصطلاحي، تاركين لمقاربات أخرى الاشتغال بالجهد النقدي للراحل.

سنقف، إذن، عند الجهد المصطلحي عند الراحل، للوقوف على مدى مساهمته في بلورة الجهاز المصطلحي القصصي العراقي، ومقاربة بواكير ظهوره، وسيروته في جهد الراحل، وتطوره، أو استقراره، واختبارً تمكنه من (المصطلحية)، وصلاحيته الإجرائية.. كما سنقف عند مسعى الراحل ـــأحيانا ـــفي اصطفاء مصطلحات بعينها، من المنظومة المصطلحية القصصية العربية السائدة، وتداولها، أو سعيه ـــأحيانا أخر ـــ في ابتكار أو ابتداع غيرها، على نحو منفرد، ومتابعة حظوظها من الإعمال، والإهمال، ومحاكمتها بين حدي العام التقليدي الشائع، والخاص المتفرد.

وبنا حاجة، إلى التصريح بأن هذه القراءة ستنفتح ـــ كلما اقتضت ضرورة ما ـــ إلى مساءلةً المنجز النقدي المشتغل على جهد الرَاحل، لتعزيز رأي ما، أو لنقضه، أو رده، أو لمحاججة ما.. على أن عمادها سيظل المقاربة الذاتية، أو تأمل جهد الناقد ، أو لجلاء أمر وكشف قضية المصطلح للحكم عليه. سيتناول البحث في أول محاوره الثلاثة، مدى حضور الخلفية النظرية للناقد، أو الاطار النظري الذي يسيج المشغل النقدي للراحل، في سياق النقد والتحليل، وصنيعه في تغييبه عن عتبات إجراءاته النقدية، وهو أمر سيلازمه ـــلا شك ـــ في تعامله المصطلحي؛ فقد كان يغفل . وهذا المحور حمل اسم: (الحاضنة: حضور الرؤية، وتغييب الحدود)ً تسييجه بحد اصطلاحي

أما المحور الثاني فقد وقف عند منطلق الرؤية المصطلحية، وتعدد زوايا نظر واضعً المصطلح أو متبنيه، في صناعته أو في تبنـــيه، وصلة ذلك بالمنهج المتبع، ومسوغات تبني.ً المصطلح أو اجتراحه.. ليحمل عنوان: (منطلقات الرؤية المصطلحية ومسوغاتها) فيما اختص المحور الثالث بـ(هوية المصطلح، ومقوماته الإجرائية)، ليعاين مدى انطباقِ اشتراطات المصطلحين في مصطلح الراحل، كالوضوح، والاستقلالية، وأحادية المفهوم، وأحادية التسمية .. وهكذا، فأول المحاور يخوض في الحاضنة المعرفية للناقد، قبل تبني المصطلح أو اجتراحه، وثانيهما يغوص في زاوية النظر المتحكمة في الوعي النقدي لحظة التبني أو الاجتراح.

(الحاضنة: حضور الرؤية، وتغييب الحدود):

لتجلية مضمون هذا المحور، والكشف عن أهدافه، بنا حاجة إلى الأجابة عن أسئلة عدة، منها:

هل احتكم الناقد الراحل إلى خلفية نظرية؟ وهل صاغ تلك النظرية، أو الرؤية التي انطلق منها، في إطار خاص؟ وهل وجد ذلك الإطار التنظيري ترجمته أو تطبيقه فيما أُنجز؟

لا شك أن ثمة منظومة مفاهيم ومصطلحات وأدوات معرفية يتم بها، ومنها النظر إلى الأدب القصصي، هي جماع الفكر النقدي عند الناقد . أي ناقد . والراحل فيما كتب، ينطلق من أساس نظري خاص، هو حصيل تجربته القرائية والكتابية تنظيرا وتطبيقا. ر ممارسته النقدية، أو تقديما يهدي لقارئه مفاتيح لا يلقانا ذلك الإطار النظري عتبة تسود القراءة النقدية اللاحقة. بل إننا سنجده قابعا في ثنايا الإجراءات النقدية، أو مبثوثا خلال أرديتها،.ً كلما دعت إليه محاجة، أو تدليل إن ما تركه لنا الراحل من ممارسات نقدية، ينشعب في شكلين:

شكلٌ وثق به نشأة القصة ومراحل تاريخها، و رصد تطورها من خلال أثر التطورات الفكرية والاجتماعية والسياسية ، وتابع تياراتها، والمؤثرات التي أثرت فيها وحددت طابعها وملامحها،ومضامينها واتجاهاتها المختلفة. وشكل ثان ، قارب

فيه الفن القصصي في النتاج المدروس، ووقف عند قيمه الجمالية والفنية. لذلك كانت بالناقد حاجة إلى تبني منهج يجمع فيه بين اشتراطات الشكل الأول، واشتراطات
(التاريخي . النقدي)، الشكل الثاني، فسماه بالمنهج .. واذا كان واذا بدت لنا الحدود متميعة بين الشكلين؛ إذ تداخلا في المشغل النقدي عنده في الشكل الثاني، على نحو أبين وأظهر مما في الشكل الأول، فإن الحس النقدي له قد تجل ذلك لا يدفع إلى القول، بغياب الرؤية النقدية عن سماء ذلك الشكل، فمما لا شك فيه أن أي جهد في رصد أو تصنيف أو تقسيم لا بد أن يحدوه منظور نقدي أو رؤية نقدية ما تتحكم فيه. فلا كليهما من وجود أساس نظري يتم به، ومن خلاله، الفعل النقدي.

في كتابه الأول (نشأة القصة وتطورها في العراق) استشعر .للوهلة الأولى .ضرورة تثبيت أساس نظري يهتدي القارئ بهديه، يمثل ضابط الاحتكام النقدي ومعياره، والأساس الذي ينطلق منه، لكنه أدرك . أخيرا . أن ذلك لا يغني، فعدل عنه، ملتمسا إلى قناعة القارئ الأسباب التي يراها كفيلة بذلك. فقد أحس الراحل أنه لا بد له من أن ينطلق من تصور صحيح واضح للفن القصصي، لكي يكون حكمه على القصص العراقية أقرب إلى الدقة والصواب. ومن هنا حرص على أن يرجع إلى الكثير من الدراسات العربية والمترجمة التي عنيت بدراسة الفن القصصي.) لكنه أوجس خيفة، واستشعر خطرا مما سينتهي أليه أمره، ذلك أنه أدرك أن من (التحكم يطبق المقاييس النقدية المتطورة، على نتاج قصصي ناشئ، يحاول أن يتلمس أو يتحسسَ ي، ولم يتمثلواُ جوانبه على نحوَ ُ طريقه، ولم ينطلق كتابه أساسا، من تصور كامل للفن القصص . لذلك راح يقف من ذلك موقف الحذر،َ فيه الثقافة الفنية أو الإدراك الكامل لمقومات هذا الشكل

لينتهي إلى خيار وحيد هو أن ينظر إلى النتاج القصصي العراقي نظرة نسبية، تحاول أن. ومن هنا كانت أحكامه، على َ تستوعب واقع الفترة الزمنية التي كتب فيها، ومستوى ثقافة كتابه هذه القصص، مرهونة بأزمانها..وهذا الخيار أو هذا المقياس النقدي المرن، هو الذي منع الراحل

من أن يكتب مقدمة قصيرة ، يحدد فيها نظرته إلى فن القصة، ومفهومه عنها، فالأمر فيها كما ،َ معللا ذلك بسببين أساسيين: "أولهما: أن القصاصين العراقيين في الفترة البدائية الأولى قبل الحرب الأولى، وبعيدها، لم ينطلقوا في كتابتهم في القصة، من تمثل صحيح لواقعها، ونتاجهم إن هو إلا محاولات اجتهدت أن تقلد ما كان يقع تحت بصرها، من ألوان قصصية مألوفة في ذلك الوقت، سواء أكان عربيا أم مترجما. وثانيهما: أن هذه المقدمة مهما تكن، لن تأتي بجديد، يغني البحث إذ ستقتصر على محاولة جمع الآراء المختلفة التي قيلت في القصة، وهي آراء نرى أنه من التحكم تطبيقها على القصص العراقي، في الفترة التي ندرسها من تاريخه. لهذا عمدنا إلى درس النماذج القصصية مباشرة، ومحاولة تصنيفها وتقويمها من خلال واقع خصائصها هي، وما تقود إليه هذه الخصائص خلال ٣ تطورها من نتائج في تاريخها وتطور مستواها الفني" وبصدد هذا المسوغ المطروح، كان يمكن لنا أن نحقق للراحل ما كان يصبو إليه من إقناع بعدم غناء ذلك المطلب المنهجي، أو على نحو أدق عدم أهميته في كتاب مثل كتاب الراحل، لولا أمران:

أولهما: قناعته بأن تلك المقدمات ما هي إلا حديث مكرور لن يأتي بجديد، وأنها ستقتصر على محاولة جمع الآراء المختلفة التي قيلت في القصة.. ولا نستطيع . هنا . إخفاء استغرابنا من ، ولم صنفهاَ (الجمع)! ضمن الراحل وهو يبتسر أهمية المهاد النظري ذاك، ويقصرها علىِ الحديث المكرور!!

وثانيهما: ما غاب عن ذهن الراحل من أن تلك المقدمات من الأهمية بمكان، لأنها تكشف، أول ما تكشف عن الوعي النقدي، أو الرؤية التي ينطلق منها الناقد، وتحدد له مسارا، بإمكان القارئ أن يحاكمه من خلالها.

نقول: لقد غيب الراحل، بقصد أو بدونه، ذلك الغطاء أو الإطار النظري، الذي يشكل مرجعا له أو منطلقا... فلم يتح لقرائه .في الغالب . فرصة التصالح على مبدأ نقدي عنده، أو حجاج،أو تصنيف، أو تسويغ، أو تعليق، أو تأييد.. وفي ظل مثل هذا الغياب، جوبه الناقد الراحل بمطاعن في صميم فكره، على شاكلة ما يلقانا عند الناقد عبد الجبار داود البصري، الذي خلص . مطمئنا . من معاينة المشهد النقدي العراقي إجمالا، إلى القول: "لم تتبلور حتى الآن نظرية نقدية فنية كانت أو فكرية.. ونقادنا يعتمدون في أحكامهم النقدية على أشتات متفرقة من الآراء هي حصيلة قراءاتهم في الأدب العربي المعاصر أو الأدب الأجنبي (...) وبين حين وآخر يتمخض الوسط الأدبي عن حركة قوية تدعو لصياغة نظرية نقدية.. ولكن هذه الحركات لا تتخطى مسألة الدعوة.." ولا ريب ، فإن هذا الحكم النقدي عن الدراسات النقدية القصصية، الذي توصل إليه بحث البصري ـــ فيما يبدو ـــ يمتد ليغطي المشهد كله، غير مستثن حتى ما سماه أهم وثيقتين نقديتين، وهما كتابا الأمين وعبد الإله أحمد، وبين أيدينا دليلان على ما نقول:

أولهما: أنه لم يستثن دراسات الراحل من حكمه ذاك، مع أن تلك الدراسات كانت بين يديه، ومن مصادر بحثه التي يحيل إليها بين الفينة والأخرى.

ثانيهما: أن ثمة حكما نقديا يترشح من أسطره القادمة؛ فهو بعد أن يستعرض بنود البيان القصصي للسادة: زهدي الداوودي، وأنور الغساني، وصالح كاظم، والذي نشروه في مجلة الآداب، ومجلة الأقلام ، ومجلة المثقف العربي، والذي كان من هباته أن السيد أنور الغساني، نشر عقب ذلك ثلاث دراسات موسعة في نقد القصة العراقية الجديدة.. سينتهي إلى نتيجة، : " يمكن اعتبار هذه الدراسات أفضل نموذج نقدي للقصة العراقية قائم على أساسَ نصها نظري"٦ولا يخفى أن في تلك المفاضلة، حكما قيميا بعدم تحصن دراسات عبد الإله أحمد، بغطاء نظري متين وراسخ، وهو أمر سنوكل مهمة تفنيده إلى ما ستسفر عنه دراستنا هذه؛ فهي معنية بهذا الفكر النقدي عند الراحل، وبإطاره النظري، وتجلياته الإجرائية، لكننا نقول، بدءا، وتأسيسا على ما مر، أن الراحل سعى بوعي وبقصدية مصرح بها، إلى تغييب تلك الرؤية أو ذلك الإطار النظري الذي يشكل حاضنة له، أو منطلقا نقديا، وأن الذي لا شك فيه، هو أن ثمة وعيا نظريا ً وتحليليا سرعان ما يشخص ماثلا بمجرد تعقب معالجاته النقدية هذا عن الحقل الذي يعمل فيه، عموما، أما عن مصطلحاته فيه، فإنها تمتثل ـــ هي أيضا ـــ لذلك الصنيع في حال معاينة ملامحها التنظيرية، وحدودها الإجرائية.. إن متابعة المصطلح في مشغل الراحل، يكشف لنا عن حقيقة، وهي أننا أحيانا كثيرة، نجد .. وانما نسبنا ذلك إلى ضن له مقومات المصطلحية (مصطلحا) ما ، لم يوفر لها السياق الحا السياق، لأن فكر الراحل النقدي .حين نعاينه . لا يتنكر للمتصور النظري، أو المفهوم الذي) اصطلاحي.

وكأنما (حد ينطوي عليه ذلك المصطلح، وكل ما في أمره، أن الراحل لم يسيجه بـ أدرك إن ذلك المصطلح من المصطلحات الناجزة التي لا تحتاج إلى حد، أو تعريف، أو كأنما أوكل العثور على ذلك الحد قابعا في الثنايا، إلى قارئه..

)، انتهت بعض القراءات النقدية إلى إحكام، صادرت بموجبها ما في ظل غياب ذلك (الحد يمتلكه ذلك المصطلح من أحادية الدلالة، أو محدودية المفهوم ووضوحه.. فصرنا أمام اتهامات للراحل باضطراب الاصطلاحي، على شاكلة ما يلقانا فيما وجهه إليه الدكتورشجاع العاني، الذي يقول:

"أما مصطلح (التقليدي) فقد أطلقه الباحث على نمط من القصص يصفه الباحث بأنه"عكس مفهوما بدائيا متخلفا عن الأدب القصصي، يفصح عن تأثر واضح بهذه الأنماط القصصية، التي قدمها الأدب العربي القديم، الفصيح والشعبي، ويكشف في الوقت نفسه عن جهل أصحابه ٧ بالقصة الحديثة، كما قدمها الأدب الأوربي" . ذلك أن واذا كان استخدام هذا المصطلح في الشعر العربي جائزا، فإنه لا يجوز في القصة للعرب تراثا شعريا كانت عودة الشعراء العرب المحدثين إليه واجتذابه وتقليد نماذجه العليا والتأثر بلغتها وأساليبه وأخيلته، بداية النهضة في الشعر العربي الحديث، التي رافقت النهضة العربية الحديثة، ولقد درج النقاد ومؤرخو الأدب على إطلاق مصطلح كلاسيكي أو تقليدي على شعر النهضة هذا الذي كان شعر محمود سامي البارودي وأحمد شوقي من أوائله. أما الفن القصصي لحديث، فهو كما يشير الباحث (...) . فن أوربي حديث، عرفه العرب منذ أواخر عشر وبدايات القرن العشرين، ولم يزاول العرب ـــ والمصريون بخاصة ـــ كتابته إلا بعد نشوء الرأسمالية المصرية الحديثة، التي نشأت بتأثير من الاحتلال الانكليزي لمصر. إن إطلاق هذا المصطلح على نمط من القصص يقع بين ما عرفه الأدب العربي من فنون نثرية، كفن المقامة ً أو فن الخبر وبين الفن القصصي الحديث. تضمن الزعم بأن للعرب تراثا قصصيا وهو ما

٨ يناقض النظرية الاجتماعية التي أشار الباحث إليها في دراسته لنشوء القصة." إلى تفكيك مفاصل قول الناقد العاني، وعلى

وبنا . كيما نرسخ تصورنا المتقدم ذاك . حاجة النحو الآتي:

١. إن التعريف الذي اقتبسه الناقد العاني بوصفه الجهاز المفهومي لمصطلح (التقليدي) عند الناقد الراحل، وراح يحاكمه به، لا يمثل مصطلح (التقليدي) كما انبنى في فكر الراحل، ولا يخص قصاصي هذه الحقبة الزمنية بعد الحرب العالمية الثانية، وانما هو خاص بما اصطلح عليه الراحل بالمحاولات البدائية، والقصة بين الحربين، وهما ما سبق للراحل أن انتهى من دراستهما في كتابه الأول (نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٣٩.١٩٠٨)، أما سبب وجوده في كتابه الثاني (الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية)، فهو من أجل اتخاذه مرتكزا أو ممهدا للإنطلاق منه إلى الإتجاة التقليدي الذي يخص الأدب القصصي بعد الحرب العالمية الثانية، ولنعيد اقتباس ذلك التعريف مع سياقه، لينهض مصداقا لما نريد إثباته.يقول الراحل: "ولكي نوضح ذلك، نحتاج أن نستعيد باختصار، بعض ما ذكرناه عن هذا التيار، منجما (نشأة القصة...) ليتجلى لنا واقعه، في الأدب القصصي في العراق، في الفترة التي نبحثها من تاريخه، منذ الحرب العالمية الثانية. ففي الفترة المبكرة الأولى من تاريخ هذا الأدب، بين عامي١٩٢١ ،١٩٠٨، التي شهدت كتابة المحاولات البدائية، رأينا هذا الأدب يرتبط ارتباطا وثيقاً ً بأدباء هذا التيار، الذي كان يسود الحياة الثقافية والأدبية في العراق في هذه الفترة، لتأخر نهضة المجتمع العامة، وضعف صلة هذه النهضة في بدايتها الأولى، بأوربا. فهم الذين سعوا في البداية، إلى تقديمه إلى المجتمع العراقي، فترجموا أو اقتبسوا أو ألفوا المحاولات الأولى فيه، ونشروها في هذه الصحف، أو المجلات، التي أكثروا من إصدارها بعد إعلان الدستور العثماني، أو في كتب خاصة. وقد تأثرت هذه المحاولات الأولى بطبيعة الحال، بثقافة أصحابها والغرض الذي حملهم على كتابتها. ومن هنا لمسنا ناحيتين هامتين فيما نشر من أدب قصصي :

الأولى : أن هذا الأدب عكس مفهوما بدائيا متخلفا تأثر واضح بهذه الأنماط القصصية، التي قدمها الأدب العربي القديم، الفصيح والشعبي،

ويكشف في الوقت نفسه، عن جهل أصحابه بالقصة الحديثة، كما قدمها الأدب الأوربي .

والثانية : أن هذا الأدب اتجه إلى هدف إصلاحي واضح، وهو أمر يتفق مع اتجاه الفكر والأدب العراقي في هذه الفترة، كما يشير إلى تأثره بمحاولات بعض الأدباء العرب في هذه الفترة، الذين سعوا إلى استغلال الأشكال الروائية العربية القديمة، للتعبير عن أفكارهم في مجال الإصلاح الاجتماعي" (التقليدي) في الأدب القصصي في العراق .

(من بحث طويل نشرته مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية ، كانون الاول ٢٠١٢)

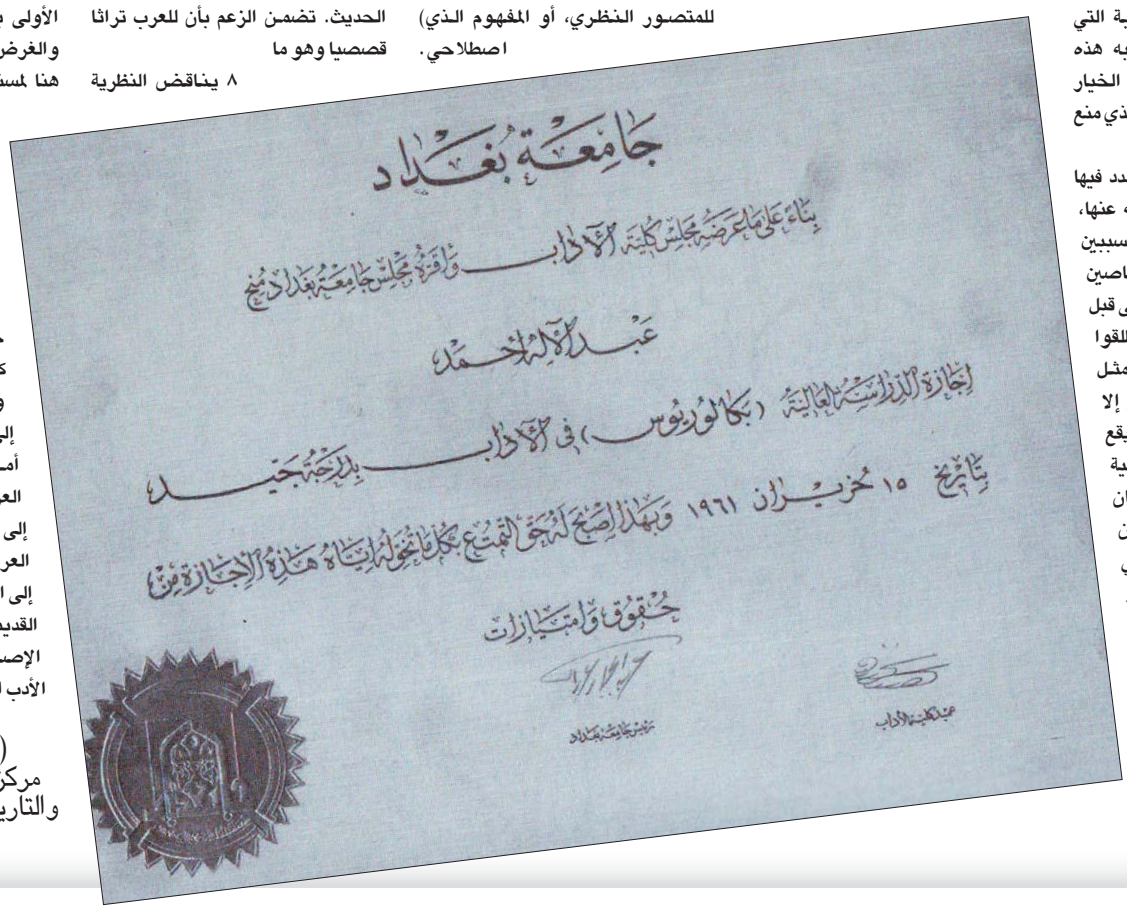
جامعة بغداد

بناءً على ما عرضه مجلس كلية الآداب وقرره مجلس جامعة بغداد في

عبد الإله أحمد

إجازة الدراسة العالية (بكالوريوس) في الآداب بدرجة جيد

بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٦١ وبهذا أصبح له حق التمتع بكل ما تخوله إياه هذه الإجازة من

حقوق وامتيازات

النقد القصصي عند الدكتور عبد الإله احمد

منهجه النقدي وقضايا المضمون القصصي

د. أحمد رحيم كريم اللبّان

تبنى الدكتور عبد الإله احمد المنهج التاريخي والنقدي والوصفي بحسب قوله في كتابه (نشأة القصة وتطورها في العراق) :" ولما كان البحث لا يدرس نشأة القصة العراقية حسب ،وإنما يحاول أيضا أن يرسم تطورها ،لذلك حاولت أن اجمع بين المنهج التاريخي والمنهج النقدي الذي يقيم هذا النتاج ويضعه في مكانه الملائم من سلم التطور[...] فالعراق الحديث لم يدرس بعد الدراسة العلمية الجادة،التي تعتمد التحليل والتفسير لواقع التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية[...]

ومن هنا كان علي أن أقوم بمهمة رسم ملامح التطور الفكري، الذي شهده العراق بين الحربين ." فهو يرى أن مهمة النقد القصصي أن تلاحق تطور البنى الفكرية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية من خلال ما يعكسه الواقع القصصي لواقع المجتمع العراقي فالأدب يعكس أحوال المجتمع الذي يعيش فيه الاديب .بلحاظ هذا التصور كانت عنايته بالفن القصصي تنطلق من معاينة المضمون على حساب الشكل أو بنية الفن القصصي نفسه في اغلب أعماله النقدية في دراسة القصة العراقية إذ انه لم يستطع أن يُحدّث منهجه في كتابه (الأدب القصصي في العراق) إذ أعاد قوله السابق نفسه بلفظه() من دون تغيير في المنهج والرؤية في دراسته للماجستير (نشأة القصة وتطورها في العراق) فلم يقدر على الخروج من أسوار منهجه الذي أصبح ملكة راسخة فيه وهو اقرب إلى ما يسميه جيروم ستولنيتزب (النقد السياقي) إذ نجد ثمة إقصاء لدلالات البنية القصصية. ولابد من معرفة حدود المنهج التاريخي في الكتب النقدية ومن ثم معرفة هذا المنهج عند الدكتور عبد الإله احمد. فالمنهج التاريخي يقتضي دراسة الأديب والحركات الأدبية بحسب ما يطرأ من تطور فني أو اجتماعي أو سياسي أو ديني لغرض معرفة مراحل تطور الأدب بحسب بيئته وزمانه وأحواله وظروفه المتغيرة فهو يعيننا على معرفة تطور وسيرورة التفكير واللغة الأدبية ونضج الأساليب في كل عصر. وهذا يعني أن النصوص الأدبية هي مرآة لمجتمعها وعلى هذا الأساس سوف يكون الأدب المدروس عبارة عن مجموعة من النصوص الأدبية الغاية من دراستها ملاحظة مدى التجاذب والانعكاس ما بين الأدب والواقع وبالعكس وعلى ذلك فعلاقة الباحث لا تخلو من ذاتية في ظل هذا المنهج بدءا من جمعه واختياره للنصوص المدروسة وانتهاء بفحصها وتحليلها ، أضف إلى ذلك أن حال الأدب في المنهج الاجتماعي ومن قبله التاريخي سوف ينظر إلى الأدب على انه لغة " واللغة كائن اجتماعي تصطلح عليه الجماعة للإبلاغ والتعبير. وبما ان الأديب لا يخلق لغته وإنما يتسلمها من المجموعة التي يعيش فيها، فان اثر الجماعة ينتقل بواسطتها إلى إنتاج الأديب" ، ولذلك سوف تكون قيمة الأدب بحسب ما يعطيه أو يكشفه لنا من قيم وأحوال الفرد والمجتمع على حد سواء، ولم يخرج الدكتور عبد الإله احمد عن حدود المنهج التاريخي الوصفي من حيث تتبعه لمراحل تطور القصة العراقية منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها فهو يبدأ برصد الظواهر في القصة ويوزع النتاج القصصي العراقي على مراحل تاريخية وفنية ومن ثم يبدأ بمعاينتها وتحليل مضمونها ومدى علاقة المضمون القصصي بالواقع الفردي للقاص والواقع الاجتماعي. بيد أننا نرى أن من أهم الملاحظ التي أثارها منهجه عليه هو خلوه من مقدمة تبين للقارئ فهم الدكتور عبد الإله احمد لفن القصة العراقية بحسب ما بدا له من مراحل تطور هذا الفن في العراق ويبدو أن الدكتور أحس بذلك فقدم مسوغا مفاده:" كان لابد لي من أن انطلق من تصور صحيح واضح للفن القصصي، لكي يكون حكمي على القصص العراقية اقرب إلى الدقة والصواب. ومن هنا حرصت على أن ارجع إلى الكثير من الدراسات العربية والمترجمة والأجنبية، التي عنيت بدراسة الفن القصصي،على انني لم استطع إلا أن أقف موقف الحذر، فقد كان من التحكم أن أُطبق المقاييس النقدية المتطورة ،على نتاج قصصي ناشئ، يحاول أن يتلمس أو يتحسس طريقه، ولم ينطلق كتّابه أساسا، من تصور كامل للفن القصصي، ولم يتمثلوا جوانبه على نحو فيه الثقافة الفنية أو الإدراك الكامل لمقومات هذا الشكل. لذلك حاولت جهدي، أن انظر إلى النتاج القصصي العراقي نظرة نسبية ، تحاول أن تستوعب واقع الفترة الزمنية التي كتب فيها ومستوى كتّابه" ، بيد أن هذه المهمة خارج نطاق بحثه وأنها لن تأتي بجديد ، ولكننا نرى أن ذلك من مهمته لأنه اقر مبدأ تقسيم ومتابعة تطور فن القصة في العراق على مراحل وجعل نظرته للقصة نظرة نسبية مرنة من حيث التحرك والملاحظة والاستقراء والتفسير فهو في صميم عملية (تجييل الأدب) القصصي العراقي ولو قدم لنا الدكتور عبد الإله احمد مفاهيم القصة عند كتّابها في كل مرحلة من مراحل نشوء القصة العراقية ونضجها لتجنب الكثير من النقود التي وجهت إلى منهج دراسته. أما الأمر الآخر فإننا نتفق مع الدكتور شجاع مسلم العاني من ان اعتماد المنهج التاريخي الوصفي كاف لدراسة القصة من دون إضافة المنهج النقدي إليه لان المنهج التاريخي هو منهج نقدي أيضا ولا يوجد ثمة منهج من مناهج النقد الأدبي القديمة والحديثة اسمه المنهج النقدي . فضلا عن هذا فان عملية (تجييل الأدب) محفوفة بعدة معوقات وليس من السهل اعتمادها في دراسة الأدب إذ من الممكن ألا تظهر ثمة ظواهر متف

علاقة فن القصة بالاتجاهات الفكرية والاجتماعية والسياسية :-

يرى الدكتور عبد الإله احمد انه لا يمكن أن ينمو فن ما ولاسيما فن القصة إلا إذا تضافرت له عدة مقومات لعل من أهمها استقرار الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي فهو يقول بشان ذلك " والواقع ان وجود مفاهيم واضحة متطورة للأدب القصصي الحديث في هذه الفترة في العراق، أمر متعذر، فبالإضافة إلى ما ذكرنا عن واقع الفئة المثقفة الطبقي،فان تأخر بدء النهضة العامة في العراق،إلى مطلع القرن العشرين،لم يتح لأدبائه فترة كافية لتمثل الأدب القصصي ،بحيث يستقر لديهم مفهوم واضح ومتطور عن طبيعته، ناهيك عن توفر ظروف موضوعية في هذه الفترة القصيرة لإنضاجه" ، وقد يتخطى نمو فن القصة هذه العناصر إلى نضج وعي القاص بأهمية الحركات والمذاهب الأدبية والفنية كالواقعية والرومانسية والكلاسيكية وغيرها فضلا عن هذا

في ذكرى الدكتور عبد الاله احمد
الاعتزال في محراب المعرفة

كريم الوائلي

اخر لقاء لنا بالدكتور عبد الاله احمد في اتحاد الادباء قبيل ان يطيح به المرض المفاجيء ويغادرنا علي عجل، وقد عرفت الصديق الراحل عن طريق علاقتي بالعائلة الكبيرة وبشكل خاص بأبن شقيقه الباحث العلمي الموهوب في جامعة بغداد المرحوم ثامر عبد الجبار احمد وكان لولعي بالقصة القصيرة السبب المباشر في توطيد العلاقة معه علي الرغم من قلة اللقاءات التي تقع في دار شقيقه بين فترة واخري وذلك لانشغاله الدائم بأمور التدريس والرسائل الجامعية والسفر وحالة العزلة التي كانت ملاذه الامن واذا كان هناك سببا يدفعني للكتابة عن الدكتور عبد الاله احمد فانه في المقام الاول قلة الكتابة عنه وبشكل خاص من زملائه وطلابه الذين يعدون بالمئات، فهل ان هذا المربي العالم لايستحق من كل اولئك استذكارا مقابل ما اسدي لهم من معروف؟

كان احمد تستوقفه كل قصة قصيرة او رواية تنشر ولايهمه اسم الكاتب وشهرته بقدر ما يهمه المنتج الابداعي وقد ضمت دراساته القيمة اسماء كتاب لم يشغلوا مكانا لافتا للانتباه في التجارب القصصية العراقية ويوم كان يطلع علي ما اكتبه من قصص انشر القليل منها يدعوني الي الاستمرار والمواظبة لكنه يتقبل العذر حين اخبره بان بعض الصحف لا تعنيها التجارب الادبية وهذا يلقي عنده القبول فهو الاخر قد نأي بنفسه عن الصحافة انذاك وقد اهدي لي كتابه الشهير الموسوعي الذي يعد اليوم اكبر مصدر اكاديمي عن نشأة القصة القصيرة العراقية وتجاربها واتجاهاتها وتقنياتها السردية .

وكان الدكتور عبد الاله احمد شديد الثقة بنفسه كما كان ثابت الرأي ولم يعرف عنه انه قد حاد عن قناعاته، ولقد عاش وحيدا معتزلا لا يرتبط بمحيطه إلا بخيوط مخملية مختصرة على ثلة قليلة من العلماء والاكاديميين وبعض افراد العائلة ، ولم ينصفه الدهر كما لم ينصفه الذين اخلص لهم وبذل لهم الكثير من عنايته ووقته ومحبته ، والقريب من الباحث والناقد الدكتورعبد الاله احمد يدرك.ان الرجل من طراز خاص ويعيش في عالم لايشاركه اخر فيه في محيطه الاكاديمي وكان ذلك سببا في عزلته وكذلك في عزوبيته حتي وفاته عدا تجربة قصيرة ومريرة اعطي فيها كل شيء ولم يأخذ اي شيء. ولشدة اعتداده برأيه واحترامه لعزلته عاش في حيز ضيق منفردا في شقته الكائنة في شارع حيفا يتنفس منها عبق دجلة التي زاملها منذ ان عرف الحياة والتي وفرت له الهدوء والتفرد والابتعاد عن المماحكة مع الناس تلك الشقة التي اختزنت بحوثه وانجازاته التي لا نعرف شيئا عن مصيرها بعد ان فارق الحياة . وقد مارس اسلوبا مبتكرا في تجنب الوضع السياسي في مواصلة عمله كأكاديمي وغالبا ما كان طلابه واصدقاءه يتجنبون نفسه الطويل في مناقشته لاطروحاتهم والاكتفاء الي حد ما بالاصغاء اليه وهو يطرح نخيرته المعرفية الغنية التي تبددت اثناء حياته وبعد مماته لاسباب مختلفة.

الابتعاد عن الادلجة

وتفرد الدكتور عبد الاله احمد بعدم الاذعان لكل الاحزاب والاتجاهات السياسية المعروفة في حينه فكانت اراؤه مقتصرة علي اختصاصه دون ان يؤدلج معرفته او يضيفها الي القوالب الجاهزة تحت اي مسمي كالحداثة او الالتزام الايديولوجي وكان يتعامل مع المنجز المعرفي على انه ابداع وجهد يمثل تجربة فردية في المقام الاول وبقدر صلة التجربة بالتقنية الابداعية والالهام والموهبة وبالواقع المعيش ، ولايمنح رضاه الكامل عن اي منجز ويعتقد ان الرضا عن النفس بداية موت الموهبة وعلي ذلك فقد كان طلاب الدراسات العليا يحسبون له الف حساب واغلب الرسائل الجامعية التي اشرف عليها خرجت اساتذه نجباء واكفاء.

لقد اسهمت عزلته عن الاضواء في فقدان كم هائل من الدراسات والبحوث التي يرتجلها علي منصات الجامعات دون تدوين او تسجيل وهذا قد جعل من الخسارة مضاعفة واتمني علي ابناء جيله وطلابه واصدقاءه القلة مثل الدكتور داود سلوم والدكتور علي عباس علوان وباسم عبد الحميد حمودي ان يبادروا الي جمع كل مدون او مسجل في بيت الفقيد في شارع حيفا.

ان المؤسف والمؤلم ان لايبادر اصدقاء الدكتور او جامعة بغداد الي اقامة احتفالية له باستثناء الصباحية التي اقامها اتحاد الادباء وهي اصبوحة لم تغطي حياة وانتاج الدكتور عبد الاله احمد الا الشيء اليسير، والذي نتمناه علي جامعة بغداد او وزارة الثقافة ان تبادر فورا الي اعادة طبع كتابه الموسوعي (نشأة القصة العراقية) وكذلك كتابه (فهرست القصة العراقية) وغيرها.

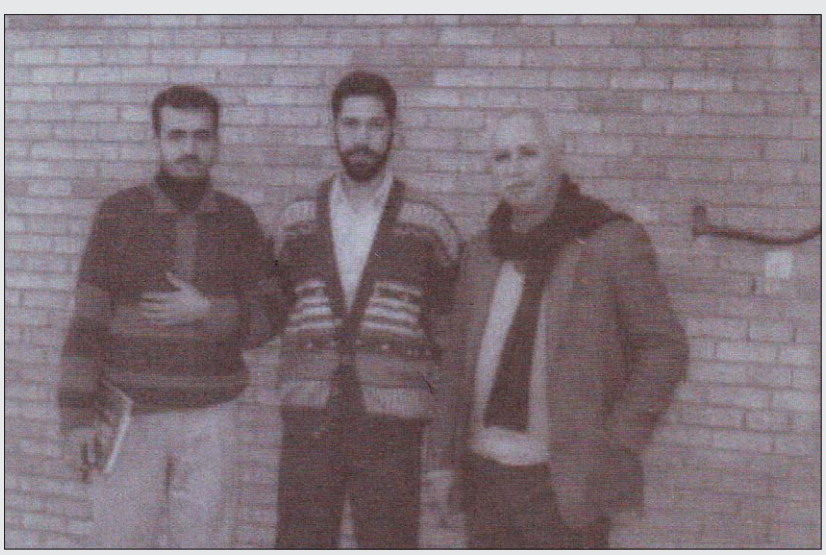

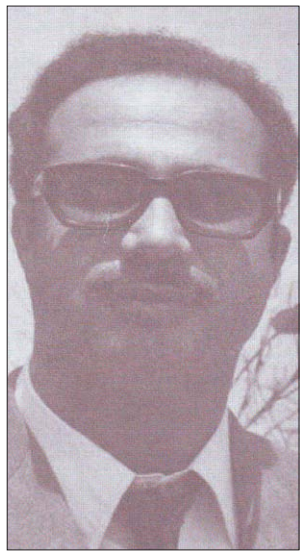

وعيه وإدراكه لماهية فن القصة وعناصر بنائها من جهة ومدى تساوق الوعي مع نضج التجربة وعلاقتها بالواقع المعيش من جهة أخرى إذ يقول بشان ذلك:" ولعل مما يكمل هذه الصورة أن نلحظ استمرار اضطراب المفهوم القصصي لدى بعض الأدبـاء والـقراء على السـواء، فقد ظل منتشرا بينهم مفهوم ساذج للقصة "، ولذلك فهو يصنف حركة تطور فن القصة في العراق إلى اتجاهين كبيرين هما :

١/ القصة الساذجة .

٢/ القصة الفنية .

وهـو عنـدمـا يـدرس عـلاقـات القصة بالجوانب الاجتماعية يأخذ مدى تصوير القصة لواقعها وكأنـه يبحث في بنى المجتمع الثاوية والـقارة في المضمون القصصي فهو يفترض أن ثمة انعكاساً للمجتمع في وعـي الأديـب والـقاص وان ثمة طباقاً بين التجربة والمضمون الحامل لها وهو القصة إذ نراه يغوص في مرجعيات الوعي القصصي والمؤثرات التي من الممكن أن يتأثرها فهو عندما ينظر إلى السلطة السياسية يبحث في موضوع علاقة المثقف بالسلطة وعندما يبحث في الجوانب الفكرية التي تنضج الوعي القصصي يتناول علاقة الصحافة واثر القراء في إثراء التجربة القصصية ومـن ثـم يـأخـذ بـتـقـصـي وعـي الـقـاص بأدواته الأسلوبية والتعبيرية والتي من خلالها يستطيع الناقد أن يكتشف نمو مهارات القاص البنائية ومدى انصياعها لديه من خلال حيوية تجاربه التي تنطلق من فلك التجارب الإنسانية العامة التي يتحد ويتوحد الفرد في الجماعة وتؤول الجماعة غائرة في الفرد. فهو يرى –أي الدكتور عبد الإله احمد على مستوى علاقة القاص بالنقد الأدبي مثلا ان نقد القصة مرتهن بسيرورة تطور فن القصة نفسه وبالأدب عموما وفي رأيه " أن عملا أدبيا ناضجا لابد أن يدفع القارئين والأدباء إلى كتابة نقد ناضج . وان استقرار الحياة الأدبية وتناميها لابد أن يطور الأنواع الأدبية المختلفة وأيضا لابد أن ينمي هذه الحركة النقدية التي تشف عن رسوخ القيم الفنية من المجتمع وازدهارها. فتسهم بعد ذلك في عملية إنضاج الأدب ودفعه إلى الإمام" إذن فالدافع الذاتي وراء نضج الوعي القصصي لدى القاص فهو أساس نجاحه في وصول تجربته إلى القراء وتأثيرها بهم وهي ما يسعى إليه القاص من غاية جمالية لأدبه فضلا عن هذا فالدكتور عبد الإله احمد يشخص أسباب ضعف الأدب والنقد القصصي في مرحلة الخمسينيات إلى عدة جوانب لعل من أهمها :

١/ طبيعة الحياة في العراق وجوّه المتقلب.

٢/ تأخر انفتاح العراق الحضاري على العالم المتطور .

٣/ اضطراب المقاييس الأدبية وما رافق ذلك من بلبلة وفوضى بسبب ما صاحب بعض الاتجاهات الفكرية الحديثة من غموض .

٤/كثرة الأساليب الجديدة الواردة والمبتدعة .

٥/ انعدام الحرية الفكرية ،ولعل هذا هو أهم عامل مؤثر في تطور الأدب العراقي الحديث .

ولهذا السبب يرجع الدكتور عبد الإله احمد سبب ضعف فن القصة في العراق إلى عدم تمكن القصاص من أدوات التعبير وضعف طرائق عرضهم لمضامين القصص فضلا عن عدم استيعابهم لماهية فن القصة وعناصر بنائها، فهو يصنف القصص إلى نوعين –كما قلنا سابقا- (القصة الساذجة) و(القصة الفنية). والأولى يحدد سذاجتها بلحاظ المبالغة في تصوير وتقديم أحداث الواقع مما يتصل بالحياة المعيشة، وكأنها اقرب إلى القصص الشفاهي الارتجالي الذي يلخص القاص فيه ما شاهده أو سمعه من الناس أو غيره مما حدث في الواقع لغاية النصح والإرشاد واخذ الموعظة. فهو ينظر إلى القصة من زاوية نمو التجربة القصصية للقاص وتوزيع سيرورة نضجها إلى مراحل وهو يحدد تطور التجربة القصصية لدى القاص من خلال أمرين:

الأمر الأول: وعي القاص لفن القصة وتطوراته المحلية والإقليمية والعالمية والإفادة منها وتجاوز تجاربه وتجديد مهاراته في كل قصة يكتبها .

الأمر الثاني: تطوير التجربة القصصية من خلال طرحه لموضوعات قصصية جديدة بوسائل عرض وتقنيات مبتكرة تخص بناء الفكرة والأسلوب القصصيين.

مع الراحل علي عباس علوان

جذوة روح "عبد الإله أحمد".. ورمادها

حسين سرمك حسن

وهذه خدمة ثانية كبيرة تقدّمها الناقدة د. نادية العزاوي للثقافة العراقية في مجال مهم لا يحظى باهتمام الفرد العراقي عامة، والمثقف العراقي خاصة، وهو مجال أدب السيرة وكتابة اليوميات ، فنحن لا نقدّر حقيقة أن الإنسان هو حيوان ذو ذاكرة ، نولد ونموت ولا نخلّف شيئا عن حياتنا، وكأننا لم نعش على هذه الأرض، ولم تشهدنا دروب هذه الحياة الصاخبة، ولم نكتوي بنيران تجاربها التي من مسؤوليتنا أن ننقلها إلى من يلينا في هذه الدنيا الجائرة . وتدوين يومياتنا ليس الفكرة منها الحفاظ على تجربة شخصية، ونقلها إلى الجيل اللاحق حسب ، بل هي "مادة" معرفية وتاريخية ونفسية، خصوصا عندما يكون الشخص المعني ذا حضور اجتماعي مؤثّر ، أو دور ثقافي متميّز . والمشكلة الأخرى هي أننا – كمجتمع عموما – لا نرغب برؤية غير النصف الأعلى من الشخصية صاحبة السيرة أو اليوميات ، والشخصية المعنية بدورها تخجل من كشف ما هو مستتر من ملامح وأفعال وصراعات نصفها الخفي عنّا، فيتواطأ الطرفان على تغييب فرص مهمة للمعرفة والغوص في عوالم النفس البشرية .

× خدمة أولى مهمة :

قبل ثلاثة أعوام قدّمت لنا الناقدة "نادية العزاوي" سيرة مهمة للأخ والصديق الحبيب الشهيد "قاسم عبد الأمير عجام" الذي اغتالته يد الإرهاب في ٢٠٠٤/٥/١٧ ، وذلك من خلال كتابها (القابض على الجمر – من مذكرات ويوميات الشهيد قاسم عبد الأمير عجام – (١٩٤٥-٢٠٠٤) الذي صدر عن دار الشؤون الثقافية – بغداد – ٢٠٠٩، الذي جمعت فيه و"حقّقت" مذكرات ويوميات الشهيد وقدّمت لها مقدّمة وافية.

أما الآن ، فإن الباحثة العزاوي تقدّم للثقافة العراقية خدمة كبيرة أخرى تتمثل في جمع وإعداد يوميات الراحل الكبير الدكتور عبد الإله أحمد، والتقديم لها بصورة وافية تحمل نظرات نفسية تحليلية صائبة . فالراحل هو شهيد من نوع آخر إذا جاز الوصف ، كان شهيد الصلابة والمبدئية والفروسية الثقافية في وقت صارت فيه الثقافة مطيّة يركبها من يشاء ، ويسوقها لأحطّ أهدافه . وهو شهيد "نفسي" إذا ساغ الوصف ، حيث أتعبت قلبه وأحرقت أعصابه الصراعات النفسية و"الحساسيّة العصابية" في البحث المُنهك عن السعادة ، والصراع ضد الزمن ، بل الخوف منه ومن عجلته الساحقة ، والموقف الملتبس والقاسي من المرأة، وفي شقائه بوعيه . هذه الصراعات "الإستشهادية" ، وكل من عرف عبد الإله أحمد كان يحس بأنه يتصرف مع أبسط الأمور بروح شهيد ، أجملتها د. نادية بدقة تحليلية، كما قلت، بما يلي :

(١- الموقف المعقّد من (المرأة)، وهو وريث تركة ثقيلة من الأعراف والقيم والمفاهيم السلبية التي جعلت منظور المثقف اليها مزدوجا، متشظيا الى حزمة من المواقف الملتبسة وغير المفهومة أحيانا

٢-البحث المضني عن السعادة، وما يصاحب هذا من كبوات تقود الى اليأس والحزن

٣-الموقف الغامض من الزمن، ومحاولة تفكيك أسرار تاثيره المدمر في وجودنا.

٤-ثنائية الواقع والحلم، اذ يتجلى عبء الحلم في واقع ملوث وظالم، وبما يجعل الحالم أمام خيارين قاتلين: ان يحمل صليبه بانتظار الموت في أية لحظة، أو التنازل عن حلمه والرضوخ الى الموجود، وفي الحالين مآل الحالم الى الموت بصنفيه : الحقيقي والمعنوي.

٥-الوعي والشقاء به، حين تكون الثقافة وبالا على صاحبها، وهي المفارقة القديمة الجديدة، التي اصطدم بها المبدعون والمفكرون على هذه الأرض.

٦-ازدواجية الموقف من الذات بين تعريتها وجلدها بالنقد، وبين التغنّي بمزاياها وتضخيم الإعجاب بها الى حد

إنني لم أتصور في يوم من الأيام، أنّ وطنيتي الصادقة، وكفاءتي العلمية أو نزاهتي وإخلاصي وصدقي وصراحتي، وهي صفات يعرفها فيّ كل من إتصل بي، ستؤدي الى موقف أُهان فيه، بحيث أكون في وطني شخص غير مرغوب فيه... ولا أعتقد أن عدم انخراطي في تنظيم معيّن يقلّل من مكانتي في بلادي، أو ينتقص من وطنيتي بحيث يجعلني شخصا غير مرغوب فيه...

النرجسية، وهو وجه من وجوه صراع ضار خاضه مع نفسه، اذ تتصادم الأضداد والأصوات المتنافرة صداما عنيفا لا أجد تعبيرا أدق في مقاربته ووصفه من قول صاحبه في إحدى مذكراته: (وها أنا لصيق بكل شيء، ولست لصيقا، لا أحسّني افهم، وأفهم كل شيء، لا أرغب في شيء وأرغب في كل شيء، ولا أريد النساء، أريدهم بدمي، لا أود شرب الخمرة، لا أمتنع عن شربها حتى لأعجز عن الحركة) (ص ١٤و ١٥).

× مجلس قيادة ثورة يتفرّغ لناقد!:

وليس أقل من معاناته الصراعية الشخصية ، عيشه في مجتمع ينتظر موت مبدعيه ليحتفي بهم بقوة تعبّر في الواقع عن فرحته بالخلاص منهم . مجتمع تحاصره المرجعيات السياسية القاسية المتجرّدة من كل رحمة وروح إنسانية. لقد كتبت سابقا عن القرار رقم (٩٧١) لمجلس قيادة الثورة الذي صدر باسم الشعب في عام ١٩٧٣ ، بإعفاء بدر شاكر السياب العظيم من (٥٣) دينارا ظلت الحكومة تلاحق عائلته بها منذ وفاته عام ١٩٦٤! الآن يتفرّغ مجلس قيادة الثورة بأكمله وبكل رعونة وقسوة لمحاصرة ناقد "غير مرغوب فيه" ، هو عبد الإله أحمد . تنقل لنا د. نادية هذا الحدث المهلك بكل مرارة وحرقة :

(من بين أوراقه عثرت على طلب مطبوع

مع الراحلين فؤاد التكرلي والدكتور علي عباس علوان

بالآلة الكاتبة مُعنون الى (مجلس قيادة الثورة / مكتب أمانة السر)، ورد فيه:
(تحية طيبة وبعد..
فقد اتخذ مجلسكم الموقر.. بحقي قرارين بمنعي من السفر للتمتع بالإجازتين الدراسيتين اللتين منحتها لي جامعة بغداد، التي أنا أحد أعضاء هيئتها التدريسية لإنجاز بحث الدكتوراه الذي أعدّه عن الأدب القصصي في العراق، المُسجّل في جامعة القاهرة منذ عام ١٩٦٨، وقد صدر القرار الأول في الشهر العاشر من عام ١٩٧١، والثاني في الشهر العاشر من عام ١٩٧٤، وقد ترتّب على القرار الأول، تأخر نيلي شهادة الدكتوراه الى الوقت الحاضر، رغم مضي ما يزيد على السبعة أعوام على تسجيل بحثي دون أن يكون ذلك بسبب قصور مني أو ظروف خاصة بي مانعة.
معاناة نفسية وآلام هائلة استنزفتني طيلة ثلاثة أعوام، وخاصة بعد أن انتهت المحاولات المضنية التي بذلتها، لاستصدار قرار آخر، ينقض القرار الأول الذي أثار استغراب الجميع، بالفشل. وقد ضاعف من هذه المعاناة النفسية والآلام الهائلة التي عشتها طيلة الأعوام الثلاثة نمو إحساس ممزّق لديّ بالخيبة وبالحق الضائع، والظلم الذي لا أجد من يدفعه عني مع مرور الأيام، رغم كثرة الأصدقاء ومكانتهم، وقدرتهم في التأثير، ورغم المكانة التي أشغلها في جامعة بغداد وفي الأوساط الأدبية والفكرية.. ولقد ضاعف من ألمي أن جاء من يخبرني بأن إضبارتي في(مكتب أمانة السر) مكتوب عليها أنني شخص غير مرغوب فيه. كيف؟ ولماذا؟
إنني لم أتصور في يوم من الأيام، أنّ وطنيتي الصادقة، وكفاءتي العلمية أو نزاهتي وإخلاصي وصدقي وصراحتي، وهي صفات يعرفها في كل من اتصل بي، ستؤدي الى موقف أهان فيه، بحيث أكون في وطني شخص غير مرغوب فيه... ولا أعتقد أن عدم انخراطي في تنظيم معيّن يقلّل من مكانتي في بلادي، أو ينتقص من وطنيتي بحيث يجعلني شخصا غير مرغوب فيه.... إن ما يحزّ في نفسي، وأنا أكتب هذه الكلمات، أن أجدني أتحدث عن وطنيتي وكفاءتي العلمية، كمتهم، يحتاج الى ما يؤكد وجودهما لديه، لكي يدفع ما يحيط وجودهما من شك – ص ١٢ و١٣).

× أمّة تقتل محاربيها وقت الحاجة إليهم :

وهذه الحالة الرديئة هي – كما يدرك عبد الإله أحمد – جزء من حالة رديئة عربية عامّة ترفل بعطاياها أمّة العرب : (سأجعل من دفتري هذا مجرد أقوال أقولها وأعجب بها وسأثبت بعضها الآن:
قلت لا يوجد كالأمة العربية تقتل محاربيها وقت اشتداد الأزمات، أشرف أبنائها تقتلهم وقت حاجتها إليهم، أينسجم ذلك مع قانون الحياة، إنسانياً كان أم حيوانياً؟
لا أريد الآن أن أستمر. سيكون دفتري هذا صك إدانتي لو أراد الديانون يوماً أن يدينونني، فأنا أحسّ عميقاً أنّ التعب يُجهز على الأمة في العراق، يُميت الخلق، يُميت الحياة في نفوس الأبناء، أوضع الأبناء يرتفعون، وما يمكن أن تتقدم على أساسه ليس الشرف، النبل، الإخلاص، الكفاءة، وإنما هو إخلاص لشيء آخر: الحزب الذي يريد أن يستمر على الحكم، ليس الحزب، وإنما الأفراد القائدون، ليس الأفراد القائدون، وإنما الفرد القائد. من هو؟ أليس معروفاً؟
سأثبت كل يوم بصفاء الأفكار، ليكن هذا الدفتر احتضاناً لما أريد أن أقول، أمّا الآن فأريد أن أنام مع الحر والبق والإستسلام. لست يائسا، وإنما أحني عنقي لأنني مستعد أن أموت – ص ١٨٤) .
وهذا طراز آخر من طرز الإستشهاد حيّاً بالقهر والتكتيم وإلغاء الخيارات والمهانة . إحساس بالشهادة تتضاعف وطأته حين "يعيه" عقل المثقف الصادق ، وهي الكارثة التي كان يعيشها عبد الإله الذي كان يعي ، وبقوة، الإنذلال المفروض الذي يحياه، والحياة المنافقة التي تناقض وجدانه ونوازع روحه :
(الجمعة ١٩٦٩/٣/٣١
عصراً: تُحرّك قراءة هذا الدفتر فيَّ شيئاً، لقد كان لي عالمي الداخلي الزاخر، وبعد سبعة أعوام أحسّني أنا كما كنت من قبل، إنسان تقذف به الأنواء، تسيِّره رتابة بليدة، تُغرقه التفاهة ويضيع، أيام تلو أيام ولاشيء هناك.
فبدء حياة جديدة لم تكن بدءاً، إنما وقوف، والأيام تمضي تكدّس عليك كل شيء، لا أخالني حزينا، وإنما مُدرك بحق، فهل ترى إنه من الضروري العودة إلى هذا الدفتر لأتحدث عن أيام القلب الذي نخرته البلادة وقيم الغباء والإستعداد لمجاراتهم. إنني أضيع إن لم أكن قد ضعت، لي جانبان في شخصيتي: شخصية الأستاذ الطاغي الذي يعلم وينطلق من أسمى القيم ويؤثر ويؤثّر ويُحترم لأنه يؤثّر، وشخصية تتضاءل أمام التافهين، يجب أن أعطي لنفسي قيمتها، لقد كان هذا ضعفي في البداية، ولازال هو ضعفي الآن – ص ١٦٩) .

× الإستشهاد العصابي :

هذه النبرة الصريحة التي لا تتردّد في تعرية الذات هي واحدة من أهم خصائص اسلوب الراحل الكبير في يومياته وفي حياته اليومية . ليس صعبا على مبدع "ينقد" و"يحلل" النصوص المعبّرة عن النفس البشرية ، ودوافع مبدعيها، أن يطلّ ، وبعمق صادم وصريح وحزين على عالم نفسه هو شخصياً :
(أشعر بالوحدة رغم أني تزوجت امرأة أحبّها ولا بدّ، ولكني أشعر بوحدة، لم أحسّ يوماً أنّها نجحت أن تحطم جدار وحدتي الصلدة، لم تخترق عالمي الداخلي، لم تحسن فهمي، لقد أخذت مني كل شيء، ولم تعطني شيئاً سوى زلزلة عالمي، لسنا على أيّ حال في هذا متكافئين، ولعل اللوم يقع أساساً عليَّ، لكي أنصفها، إنها أفضل من الأخريات، ولكن...!
إنني لا أصلح لأحد، وقد لا أكون صالحاً لأكون زوجاً، وقد أكون أفضل الأزواج على الإطلاق.
ذلك هو امتحان لا أعتقد أنّها ستحسن اجتيازه – ص ١٨٥) .
وقد سلّمنا الراحل ، وبقدر تعلّق الامر بسلوكه العاطفي ، مفتاحا عبر مقولة اقتبسها من "صلاح عبد الصبور" نقول: (نحن من جيل لا نتزوج حبّنا الأول – ص ١٣٤) ، ولكن عبد الإله ، ايضا ، من جيل يبقى حتى مع حبّه الأخير يبحث عن حبّه الاول الذي لم يعشه فعلياً!
وهنا تعلّق د. نادية على ما كتبه الراحل قائلة :
(بعد عشرين عاماً تماماً في ١٩٩٤/٣/٥، سيقف على سطوره الأخيرة ويعلّق عليها:
(أيّ إخفاق مؤلم، ها أنذا بعد ما يقارب العشرين عاماً أعود إلى هذا الدفتر الذي فتحت صفحته الأولى خريف عام ١٩٧٣، معلناً بدء حياة جديدة، لتنهض في ذهني فكرة أن أدوّن بعض ما يدور في ذهني هذه الأيام، لقد غادرت حياتي الماضية بعد أن رميت نفسي باختيار قدري في رحلة استسلمت لها بفعل قوة مهيمنة غريبة، أسلمت نفسي لكل تفاهتها باقتناع غريب، وبذلت ما بذلت بعيداً عن كل ما يمكن أن يمتّ لي بصلة، وأصمتّ أذني عن سماع أيّ نبرة، لقد كان كل ما يقال لي يبدو غريباً عليَّ لا يحرّك ساكناً – ص ١٨٥) .
يمكن القول بلا تردّد أن يوميات عبد الإله أحمد توفّر في جانب كبير منها مادة كبيرة للمحلل النفسي للوقوف عندها وتأملها بهدوء ، ففيها الكثير من الأعراض "العصابية" التي قد توفّر فرصة لمحاولة نسج خيوطها كمظهر لسيرة شخصية ، مع خيوط رؤاه ومواقفه النقدية . حتى زلّات قلمه وقد بدا التحليل النفسي، كما هو معروف، من تحليل "اللامعنى"، لها أهمية قصوى ، فقد زلّ قلمه في إحدى يومياته ليكتب : (الكتب العزيزة .. اشتهي أن أفض بكارة أي كاتب ، كل كذب !! منها مشتهى إلى حدّ العجز– ص ١٨٦) .

× رسائل مقايضة :

أمّا القسم الثالث الذي ضمّ "الرسائل"، فهو تحمل مادة ثرية على أكثر من صعيد . فبعضها يكشف زيف بعض "المتعالمين" وانحطاط أخلاقياتهم، وهم يحاولون مقايضة الراحل ببعض المواقف الهزيلة، كما ورد في رسالة "إبراهيم بيومي" (ص ٢٤٠) . تعلّق د. نادية على مثل هذه المواقف بالقول:
(عجيب شأن البشر كيف يجهلون مقامات الناس ولا يميزون في الموازين. وإلا كيف يجرؤ هذا المرسل الكريم على مفاتحة د. عبد الإله أحمد بمثل هذا المنطق ؟ : أدعوك إلى المؤتمر مقابل غاية معينة، وهل الراحل ممن يجوز عليه ذلك ؟ وأن الذي جرّأه على هذا العرض أن الدعوات إلى مؤتمرات النقد في الأردن غدت أمنية الأماني لكثير من الاساتذة العراقيين للأسف الشديد في تسعينات القرن العشرين – عقد الحصار والجوع والتضييق على الخناق – حتى أراق نفر من هؤلاء الأساتذة ماء الوجه والعلم من أجل هذه الدعوات في وقت تمسّك فيه أمثال د. عبد الإله أحمد بالوطن في محنته بألف سبب وسبب وطنيّ وأخلاقي مقدّس – ص ٢٤٠) .
وتقدّم الرسائل أيضا مادة ثقافية مهمة للقاريء خصوصا رسالة الناقد الراحل "عبد الجبار عباس" و "عبد المجيد لطفي". بالإضافة إلى أنها مادّة تحليلية لنفوس شائكة ومشوّشة (رسائل طراد الكبيسي ونزار عباس) .. وعذّبت الراحل بعدم جدّيتها وخفّتها (استعارة ضياء خضير لبعض كتبه وعدم إعادتها).
ملاحظتان بسيطتان :

× افتتحت الكاتبة الكتاب بإهداء هو بيت الشعر التالي :

وتحسب أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ

وكتبت تحته إشارة "من الموروث" ، في حين أنه للإمام علي بن ابي طالب .

× جاءت الصور بدون تعليقات توضح الأشخاص الذين ضمتهم أو الأماكن وتواريخها .

× الصدق المميت وروح الطفولة :

الصدق هو أهم سمة تميّز يوميات عبد الإله أحمد هذه ، وهو الصدق الجارح الصادم الذي ينقصنا في حياتنا المنافقة ، خصوصا حياة المثقفين الذين يساعدهم تسلّحهم بإمكانات اللغة على النفاق الواسع ومخادعة البسطاء . ومع الصدق ، ومرتبطا بها ، ومعبّراً عنها ، هناك الروح الطفلية المشاكسة الرائعة . وأعتقد أن قلب الطفل الذي كان يحمله الراحل قد سبب له إرباكات هائلة في حياته وعلاقاته . ولا أتردّد في القول أن موت عبد الإله بمرض في القلب، وبعد عملية فاشلة في عمان ، يعود في جانب كبير منه إلى أنه كان قلب طفل في عالم الكبار المتوحّش الذي يحاصرنا بضغوط "عقلانيته" المنافقة من كل جانب. في يوم الأحد ، ١٩٦٠/١٠/٩، كتب عبد الإله :
(أنا أحمل قلباً . وكالأطفال أخذت آكل "الدوندرمه" في واجهة سينما الخيام. وتذكرتُ كم مرّة وقفت هنا ، أحمل نفس إحساس الخواء . أسيتكرر ذلك أبدا؟ كأننا لم نعش ولم نشاهد ، وكأننا لم نتعلم من تجاربنا ومعاناتنا شيئا ؟ كنت كالطفل ألتهم ولم أعر الآخرين.. أنا مُتعب ، وفي السينما ستلقى فرجة. قضيت ساعتين مع "هيتشكوك" نسيت اسم الفيلم – ص ٦٥ و٦٦) .
وتعلق د. نادية في هامش على هذه الذكريات:
(ظلت مشاهدة السينما من أكثر هواياته المحببة إليه ، وبعد خمسين عاما من هذا التاريخ ، وقبل إجراء عملية القلب بأشهر قليلة قرّر أن يشاهد فيلما سينمائيا. كانت شوارع بغداد ساخنة ليس من الحرّ بل من الحرب ، ولا يرتاد السينمات إلا المراهقون والمشرّدون، ولكنه تجاوز كل العقبات لصالات السينما والوضع الأكثر بؤسا لمرتادييها ، وشاهد فيلم "تايتانك" وفيلم "القلب الشجاع" ، فأي قلب مغامر باحث عن الجمال والمتعة يحمل هذا الشيخ الشاب ؟ – ص ٦٦).
الرحمة للراحل الكبير د. عبد الإله أحمد ، وتحية لجهود الناقدة د. نادية العزاوي.

قراءة في سيرة الدكتور عبدالاله أحمد

فاروق مصطفى

ضم كتاب (جذوة الروح ورمادها) وهو من جمع واعداد واستهلال الدكتورة نادية غازي العزاوي يوميات الراحل الدكتور (عبدالاله احمد) الذي توفي عام ٢٠٠٧ وكذلك احتوى الكتاب العديد من ذكرياته وخواطره والرسائل الشخصية الموجهة اليه من ادباء عراقيين وعرب نقاد وكتاب واكاديميين، وجاء اخر الكتاب مزيناً بالوثائق والشهادات التي تعود للراحل مع اضمامة من صوره الشخصية التي تؤرخ مراحل عدة من مسيرة عمره.

تعرفت اخبار الدكتور (عبدالاله) عن طريق الدكتور فائق مصطفى عندما كانا يتتلمذان في القاهرة للحصول على شهادة الماجستير اواسط ستينيات القرن المرتحل، وقد اتجه الراحل الى دراسة الادب القصصي العراقي واصبحت اطروحتاه في الماجستير ومن بعد في الدكتوراه مكرستين للادب المذكور بما قدم من دراسات و بحوث تخص فنيات الادب القصصي العراقي مصادر بارزة لايمكن عبورها او تجاوزها من غير الاشارة اليها.

والدكتورة نادية العزاوي الباحثة والناقدة الرصينة ومما عرف عنها جديتها وعنايتها بالتراث العراقي الحديث كدأبها تقدم هنا للمتلقي هذه المذكرات والرسائل مخرجة اياها من تضاعيف المكتبة الشخصية للراحل وتضعها على موائد التلقي بهذا الجمع الشاغف والترتيب السليم والاعداد الجميل وهي في كل هذا تبدي وشائج هذا الوفاء الشائق لذكرى استاذها الراحل وفي عين الوقت تحافظ على هذه الاوراق العائدة لناقد عراقي واكاديمي متمرس حتى لاتمتد اليها اصابع الاهمال ولاتقترب منها اسباب التلف والضياع وتكون بعملها هذا وفت الى استاذها وخدمت الادب العراقي وكشفت عن جماليات هذه الاوراق بما احتوت من تأملات واستذكارات ورؤى وهي تلقي ضوء كاشفاً على الفترة التي كتبت فيها.

تظهر الدكتورة نادية اهمية هذه الاوراق التي انبرت في الحديث عنها ووضعها امام القارئ وتميط اللثام عن قيمتها والتي هي قمينة بالاهتمام والقراء والتأمل تقول الباحثة (تدور هذه الاوراق على محاور اساسية في حياة الراحل وثوابت فكرية ونفسية في تجربته، وثوابت اقل مايقال في وصفها انها مهيمنات معقدة ومتداخلة ظلت متسلطة على تجربته) وهذه ليست المرة الاولى التي تتصدى فيها الدكتورة نادية في تقديم مذكرات اديب وانما اقدمت على تقديم مذكرات الراحل (قاسم عبد الامير عجام) (راجع كتابها الموسوم بـ (القابض على الجمر) والمطبوع عام ٢٠٠٩ فان للباحثة الماماً وعناية بهذا الضرب من الادب المذكراتي تضم صفحاته معلومات وتأملات ورؤى تفيدنا في النظر الى تاريخ وطننا الحديث. في خواطره وذكرياته كثيراً ما يتحدث عن المطر، المطر الذي يثير في الانسان كوامن الحزن وخاصة عندما نقف بمحاذاة النوافذ ونحن نراقب انهماره ونتأمل تهطاله حيث تبدأ المزاريب تسكب ذكرياتنا من الجهات كلها، ذكريات الايام التي مضت ولن تعود ثانية من جديد ونحن نكتهل وكل امالنا تدوسها عربا السنين، ونجد في هذه الخواطر افضية من الاكتئاب والعجز والتردد يقول الراحل (لا احسني افهم وافهم كل شيء، لا ارغب في شيء وارغب في كل شيء، ولا اريد النساء اريدهن بدمي، لا اود شرب الخمرة لاامتنع عن شربها حتى لا أعجز عن الحركة).

يوميات الراحل تؤرخ بيوم السبت ١٩٥٩/١٠/٣ وكثير من صفحاتها مكرس للأنسة (م) وكانت تدرس معه في كلية الاداب وقد خطت هذه اليوميات بلغة دافقة منسابة تعكس الكثير من الحياة البغدادية التي تتموسق في شوارعها وحاناتها ومقاهيها ومكتباتها وسينماتها، من العبارات الشعرية الجميلة التي تستوقف المتلقي تلك التي وردت في الصفحة (٥١) (فالجو كان حاراً كدأبه ولكن الامطار بدأت تسقط، قد سرت مرة تحتها وتنشقت عبير ملابسي المنقوعة بماء السماء، واحسست باللذة ذاتها التي كنت احس دوماً وانا اسير تحت الخيوط الدقيقة التي تصل الارض بالسماء) .

ويتحدث الراحل في يوميته المؤرخة بيوم الجمعة ١٩٥٩/١٢/ عن انتحار اخته وعن وقائع هذا الحادث الاليم في حياته يصفها بكونها اياماً كئيبة، وقع هذا الحادث وهو لما يبلغ العشرين، ويحاول في سطوره ان يفلسف هذا الموت، ويجد خلاصه في المزيد من القاء نفسه في عالم الكتاب. ويقع الناظر في هذه اليوميات على اهتمامات الراحل بنوع الكتب التي كان يطالعها فهو كثيراً مايذكر عناوينها، ويظهر شغفاً بالاستماع الى السيمفونيات العالمية وهذا يعكس جانباً اخر من اهتمامات الراحل ويظهر حبه وعنايته بالموسيقى يقول في ص٧٢ (لا ادري عن ماذا تقول هذه القطعة رغم الشرح المسهب الذي قدم في البداية ولكن الاحساس الهادئ والنشوة الرائعة هي سره انني احب ان تستمر ولو كنت في حالة نشيج اذاً لأدمعت عينا) ان يومياته بشكل عام تظهر جفاف حياته وعجزاً في اعماله واحباطاً في اماله ولكنه مع ذلك تغلب على هذا العجز وقهر ذلك الخواء عندما اكمل دراساته حاصلاً على شهاداته العليا والذي امتلك باعاً طويلاً في مشروعه الثقافي الذي اقامه في الكتابة عن الادب القصصي العراقي ونقد نماذجه وابراز معالمه واضاءة علاماته.

واما القسم الثالث من الكتاب فأشتمل على رسائل وخطابات وبطاقات تهنئة ارسلت الى الراحل في مناسات شتى، وقد تلقى هذه الرسائل من داخل القطر وخارجه. وبعض منها يعود الى مشاهير من الادباء والاساتذة والاكاديميين فمن العراقيين كوركيس عواد، عبد المجيد لطفي، فؤاد التكرلي، عبد الجبار عباس، ضياء خضير، معروف خزندار، سيار الجميل، ومن المصريين سهير القلماوي، جابر عصفور، طه وادي واخرين والرسائل تضيء جوانب مهمة من الاشخاص المرسلين وكذلك الى الشخص المرسل اليه، هذه الجوانب تتناول اهتماماتهم وميولهم واشتغالاتهم الادبية وتعكس مزايا كتاباتهم الخطابية والمشهد الثقافي الادبي الذي تؤرخه الرسائل، والدكتورة نادية بحرصها وجديتها تضع هذه الخطابات بكل امانة بين يدي المتلقي لينهل من معينها فأدب الرسائل له جمالياته و امتاعه ولغته التي تحمل صدقها واشراقها.

بقي ان نعرف ان الدكتور عبد الاله احمد قبل وفاته اوصى الدكتورة نادية من ان تكون مسؤولة عن مكتبته فهي حرة في ايصالها او اهدائها الى اية مؤسسة تفيد منها وكذلك اوصاها بأوراقه المخطوطة ولها حق ما تريد النشر منها.

وها هي الباحثة الدؤوبة (نادية) تدرس هذه الاوراق التي تتضمن سيرة الدكتور الراحل وهو ناقد وباحث وتدريسي فتكتب لها مقدمة وتضع لها حواشي وتضيئها بملاحظات نافعة وتدفعها للنشر تحت عنوان (جذوة الروح ورمادها) وينشر الكتاب ببغداد ويطبع ضمن اصدارات بغداد عاصمة الثقافة العربية، فالراحل ابن بغداد حيث ولد في احدى محلاتها القديمة وتدرج فوق مرابعها وتتلمذ في مدارسها.

واوراقه السيروية تضيء كل ذلك فهو يقول فيها كل ما يريد ويبوح بكل ما يفكر فيه، والدكتورة نادية وفت بالوصية التي حملتها على عاتقها ودفعت الاوراق الى عالم النشر لانه من الظلم بمكان ان تبقى هذه الاوراق محجوبة عن القراءة وبمعانقتها عالم النور اثبتت وفاءها لاستاذها وخدمت الادب العراقي وهذا ديدنها دائماً خدمة الكلمة الصادقة وخدمة الادب الانساني ووصف لحظات الانسان في ضعفه وقوته، في صعوده وانحداره، وهذه فضيلة الادب الذي يكتب له البقاء.

وثيقة الدكتوراه في جامعة القاهرة

عبد الإله أحمد

ياسين النصير

قبيل مغادرتي للعراق العام ١٩٩١، التقيت الراحل الدكتور عبد الإله أحمد مرات عديدة مع أساتذة ومفكرين كبار،وهم الراحلون علي جواد الطاهر، و فؤاد التكرلي، ومهدي عيسى الصقر، وموسى كريدي، وكذلك الناقد فاضل ثامر. كنا نلتقي مرة كل أسبوعين في بيت من بيوتهم لنتداول في شؤون الثقافة.

في إحدى زياراتي لبيت الراحل عبد الإله أحمد، أطلعني على ارشيفه الكبير والموثق باستمارات و"فايلات" منظمة على الطريقة الفهرسية العلمية الحديثة، وفيه كل ما يتصل بالقصة العراقية من نشأتها في أواسط القرن التاسع عشر وحتى قبيل رحيله، خاصة القصص والروايات العراقية بما فيها القصص التي عالجت قضايا الحرب العراقية الإيرانية مع الكتابات التي كتبت عنها، وكان يقول لي: هذه ثروة مهمة لدراسة مراحل تاريخ الأدب، ولدراسة جزء من مراحل تاريخ العراق، وبالفعل فقد كان وحده من بين جميع من درس القصة العراقية، الذي وقف على كل حرفياتها وتشعباتها منذ قصص الرؤيا وحتى آخر ما أنتجته القصة العراقية قبل رحيله.

مع سهيل سامي نادر

وتساؤلي أين أصبح هذا الارشيف الثروة؟ فالدكتورلا وريث له من ناحية الأبناء، ولا أعتقد أن ارشيفه قد أصبح موضع عناية من قبل أي أحد بعد رحيله، وأرجو أن أكون على خطأ في تصوري، في حين أن هذه الثروة القيمّة بحاجة إلى من ينتبه إليها خاصة جامعة بغداد التي أفنى الدكتور عبد الإله عمره وجهده فيها، وهو تلميذ وأستاذ ومشرف على رسائل لأدباء ومثقفين أصبحوا اليوم عماد الدرس الأكاديمي والفكري.

ومسألة الارشيف ليست معلومات دقيقة عن هذا الإصدار أو ذاك، فقد عمدنا إلى تجميعها مرة وأخطأنا التصنيفات العلمية، إنما الارشيف سيرة ذاتية لمجتمع المثقفين والثقافة، هو المدونة التاريخية والسجل التقني والمدني لأجناس من السرد يمكنها أن توفر للدارس أرضية يقيم عليها تصورات منهجية جديدة غير التصورات التي أقام عليها الدارسون من قبل في تشخيصاتهم للقصة والرواية، الارشيف اليوم مدونة كلامية واجتماعية، وسيرة جماعية لكتاب القصة والرواية والنقد، كما هو سيرة لغوية أيضاً تدخل في سياق اللسانيات، وتصبح هوية ليس لفئة المثقفين، إنما لطرائق تفكيرهم وأساليب توجهاتهم الايديولوجية والاجتماعية والنفسية، وضمن مراحل إنتاجها.

فالدراسات التي قامت على القصة العراقية انصبت في معظمها على محتوى القصص، وعلى سياقاتها الفنية والاجتماعية، وأحياناً على جزئيات منها كالمرأة والمدينة، والريف، والتراث الشعبي، في حين أن الدراسات العميقة للقصة العراقية لم تكتب بعد، وأعني بها تلك التي تعالج مشكلات لغة السرد، والبنية الفنية، والاتجاهات الفكرية وارتباطها بتطور الايديولوجيا الاجتماعية وبتحولات المجتمع، والكثير منا يعرف أن عدداً من الدراسات التي تناولت علاقة القصة والشعر بتطور الحركات السياسية، منعت من الحصول على الدرجات العلمية، والقلة ممن حصلوا عليها، منعوا من التدريس في الجامعات العراقية والأمثلة معروفة.منهم على سبيل المثال: الدكتورهاشم الطعان ورسالته في اللغة، والدكتورعبد اللطيف الراوي ودراسته في الثقافة والمجتمع، والشاعر يوسف الصائغ ودراسته في الشعر الحر، وغيرهم.

لذا فقد كانت ثمة قصدية في منع درس الحداثة لدى أجيال من الطلبة.

اليوم لا أحد يذكر الدكتور عبد الإله أحمد خاصة من قبل طلابه، وهو الذي يطل دائماً وهو في مثواه الأخير على ثقافتنا العراقية ودرس القصة النقدي، فما أنتج هو وعبر تلامذته فيها، يمكنه أن يشكل مدونة ثقافية لا يمكن تجاوزها، فعبد الإله ليس إنساناً دمث الخلق فقط، إنما هو الأستاذ العالي الكعب علميا، لم يهادن على موقف ثقافي كان يشم منه رائحة السلطة، ولا على رسالة لا تستحق أن يكون صاحبها علماً.

وجدير بالمسؤولين عن الثقافة في الجامعة العراقية في الأقل، أن يحتفوا بإنجازه العلمي والفكري، فهو وحده الذي أسس، في مجالي السرد والنقد، بنية تحتية راسخة لأي إنشاء معماري أو فلسفي للقصة وللثقافة العراقية.

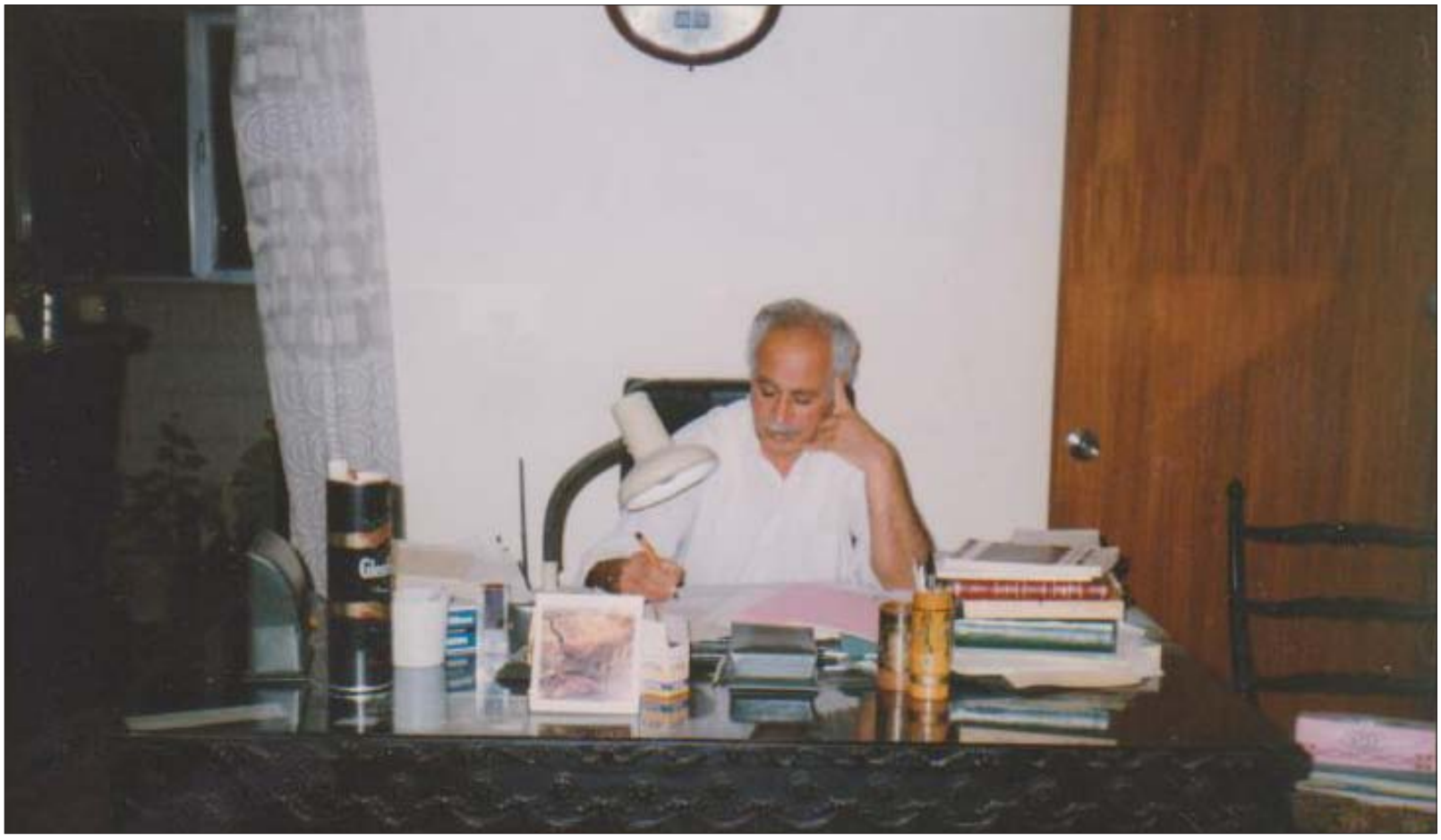

الناقد الدكتور عبد الأله أحمد..
و منهجية الإتصال بين التاريخي والنقدي

مقداد مسعود

سيكون كلامي وجيزا جدا وهو أشبه بطواف حول كتابين للناقد عبد الأله أحمد :

×الأدب القصصي في العراق، منذ الحرب العالمية الثانية اتجاهاته الفكرية وقيمه الفنية.

×في الأدب القصصي ونقده

وكلامي سيتنقل بين الكتابين،حسب ضرورة ورقتي المشاركة..

في مقدمة كتابه (الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية/ الجزء الاول) والكتاب نفسه هو رسالة الدكتوراه التي نالت مرتبة الشرف الأولى في جامعة القاهرة بتاريخ ١٤آذار ١٩٧٦..

يعلن الباحث ان منهجه البحثي هوالجمع(بين المنهج التاريخي والمنهج النقدي)..والناقد هنا،يعيدني كقارىء منتج الى أتصالية الصعود المتزامن لكل من الرواية الأوربية وعلم التاريخ في القرنالتاسع عشر..رغم ان الرواية العربية مع بدايات القرن العشرين تزامنت،دون ان يزامنها صعود في(علم التاريخ) أو في غيره من العلوم،هذا الأمر جعل الرواية العربية تولد في(شرط غير روائي) لم تنجز فيه البرجوازية العربية ثورتها / حسب د.فيصل دراج

بخصوص الناقد عبد الأله أحمد،نلاحظ انه لايحيلنا الى تعريف معين للمنهج التاريخي وحسب جيرار جينيت(التاريخ منهج يتلاءم مع كل الموضوعات على أختلافها،وبالتالي فهو يتلائم مع الأدب).وبالنسبة لي كقارىء منتج أتساءل حين يؤرخ اي باحث لفترة أدبية، كم نسبة أتصاليته مع سلطة المؤرخ؟ فالمتعارف عليه ان الأدب له خصوصياته وهذه الخصوصية،هي التي تحصنّهُ من ان يكون نتاجا تاريخيا،بمفهوم علوم التاريخ،ومن ناحية أخرى فأن العمل الأدبي،له أستقلاليته التي تجعلهُ مختلفا حتى عن مجموع مصادره وتأثيراته ونماذجه حسب كليمان موازانأما بالنسبة للمنهج النقدي فالباحث يحدد المنهج النقدي (في جميع دراستنا لأنتاج القصاصين،الساذج أو الفني منه، حاولنا ان نعتمد جهد الامكان،المنهج الوصفي الذي يسعى الى الوقوف عند العمل القصصي،ليتعرف على خصائصه الفنية والفكرية،كما يعكسها هذا العمل بالضبط/ص١٤)، ثم يبرر الناقد سبب أستعانته بهذا المنهج:(لأن هذا المنهج في أعتقادنا ، يتيح لنا فهما أدق لطبيعة الطرق الفنية التي أستخدمها القصاصون العراقيون،كما يكشف لنا عن مستواهم الفني وما أضافوه من جديد في تاريخ هذا الفن في العراق وهو في الوقت نفسه ،يجنبنا أمتحان انتاج هؤلاء القصاصين بمنظور فني مستمد من أنتاج قصصي أكثر تطورا، لايمكن تحمله دون تعسف كبير يجور عليه). ثم يخطو الباحث نحو القارىء خطوة منهجية الى الامام في قوله(هذا المنهج يقف موقفا حذرا،فيحاول ان ينظرجهده الى النتاج القصصي نظرة نسبية،تسعى الى ان تستوعب واقع الفترة الزمنية التي كتب فيها،ومستوى ثقافة كتابه،الذين تحكمت فيهم الى حد بعيد طبيعة الظروف الموضوعية/ص٧)..وفي كتابه(في الأدب القصصي ونقده) يعلن الناقد عن جهده..(..محاولة لرصد الحركة النقدية التي صاحبت القصة العراقية في فترة محدودة من تأريخها تقع بين ١٩٠٨و ١٩٣٩ومن هنا فأن منهجه هو منهج تاريخي،يريد ان يتتبع هذه الحركة كظاهرة أدبية،في نشأتها وتطورها،محاولا في الوقت ذاته أن يستخلص بعض النتائج المهمة في تأريخ هذا اللون من النقد في العراق/ص١٣)..نلاحظ ان ما سيقوم به الناقد هي عملية مسح وأرشفة لما جرى..وفي بحثه(الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية)،يجعل من الحرب العالمية الثانية،نقطة البدء..ولايجعل لبحثه نقطة نهاية،حتى وان توقف البحث عند أوائل الستينات،/ص٩..وبخصوص المنهج التاريخي سيكون التاريخي مرتهنا بالتحقيب،والمشار اليه في قوله(واقع الفترة الزمنية التي كتب فيها..) والتحقيب يعني ايضا الشرط الموضوعي في المعادلة،يقابله الشرط الذاتي والمتمثل بمنتج النص..(مستوى ثقافة كتّابه) والمستوى يشمل المادة الخام لإنتاج النص وكيفية إشتغالها..

يركز الناقد في كتابه (في الأدب القصصي ونقده)،على براءة اختراع تعود له وهو أجتراحه لمصطلح(النقد القصصي) موضحا(مدى دقة أختيارنا لمصطلح النقد القصصي) ثم يفسر لنا المصطلح ذاته..(..ينصرف هذا المصطلح الى ماتنهض به القصص عادة من نقد لنواح تتصل بالحياة حولنا/ص٥ /في ألأدب القصصي ونقده).

×ملاحظات حول(في الأدب القصصي ونقده)

سنركز على أهم ماجاء في هذا الكتاب..

× غياب الناقد الأدبي العراقي..

لايستهين الناقد بالمحاولات النقدية التي زاولها الأدباء العراقيون،لكن هذه المحاولات كانت متشعبة ومتنوعة،ولم تنجب(ناقدا أدبيا متخصصا واحدا،مقارنة بالعدد الوفير من النقاد العرب الذين لعبوا دورا كبيرا في النهضة الأدبية الحديثة/ ص١١)..وهذا الغياب سيؤدي الى غياب الاتجاه النقدي كما يرى الناقد عبد الأله أحمد،وفي الحاشية المثبتة في ص١٢،يبرر ذلك ان الغياب مرتهن بالبنية الاجتماعية آنذاك..(أن مسألة تخلف النقد الأدبي في العراق ترتبط الى حد كبير بواقع تخلف العراق الاجتماعي والسياسي والفكري..)...

أرى هنا الناقد عبد الأله أحمد ينتهج نقديا المنهج الاجتماعي،وليس المنهج التاريخي والنقد الوصفي..

× لاتزامن بين النص الأدبي والنقد

يعزو الناقد عبد الأله أحمد،ضعف النقد الادبي،الى(عجزه عن مواكبة الأدب العراقي الحديث في أتجاهاته وتياراته المختلفة شعرا ونثرا/ص١٢)

×الخطوة النقدية الأولى

يرى الناقد هنا ان الكتابة من داخل التجربة،هي الخطوة النقدية الاولى،ثم ينتخب أمثلة نقدية أنتجها قصاصون وهم:

×الروائي العراقي هو أفضل من توصل لفهم العملية النقدية من الداخل/ محمود أحمد السيد/أنورشاؤل/عبد الحق فاضل

×محمود أحمد السيد في مقالته(فجر القصة في العراق)

ويرى الناقد عبد الأله أحمد في هذه المقالة(تعد من خيرة المقالات التي كتبت في النقد القصصي طيلة الثلاثينات ولمدة طويلة وسيقوم السيد بنقد تطبيقي..

×وعلى منوال السيد،سيقوم أنور شاؤل بنقد تطبيقي على رواية(جلال خالد)للروائي محمود أحمد السيد..

ويرى عبد الأله أحمد في كتابة شاؤل(من أنضج الملاحظات النقدية التي كتبت حولها.وهي لذلك من المقالات المهمة في تأريخ النقد القصصي في العراق،التي حاولت ان تنهج نهجا نقديا ينطلق من أسس فنية،يخضع العمل القصصي له/ ص٢٩)

×ملاحظات حول المنهج التاريخي:

×نتوقف عند المنهج التاريخي،هناك من ينظر إليه عبر المناهج الدلائلية والشكلانية والبنيوية، لذا يراه منهاجا غير صالح للأستعمال..وسبب هذه الرؤية يعود الى قصور في متابعة.. (التنظيرات والتوجهات والمكاسب الجديدة التي أصبح يضطلع بها البحث العلمي في تاريخ الأدب في أوربا وأمريكا/ص١٥)..والمنهج الذي ألتزمه الباحث،لم يكن الإبن المدلل نقديا ،فقد عانى هذا التوجه من عسف وأهمال/٩ص.إضافة ان

في بحثه(الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية)،يجعل من الحرب العالمية الثانية،نقطة البدء.. ولايجعل لبحثه نقطة نهاية،حتى وان توقف البحث عند أوائل الستينات،/ص٩..وبخصوص المنهج التاريخي سيكون التاريخي مرتهنا بالتحقيب، والمشار اليه في قوله(واقع الفترة الزمنية التي كتب فيها..) والتحقيب يعني ايضا الشرط الموضوعي في المعادلة،يقابله الشرط الذاتي والمتمثل بمنتج النص..

معاصرة الطرفين أي الناقد والنصوص المنقودة،تتسبب في تعطيل ما يشترطه البحث الاكاديمي من موضوعية،لكن الناقد عبد الأله

سعى الى توظيف ذلك في صالح العملية النقدية(لايمكن في تقديرنا ان نقلل من أهمية بحث باحث لفترة زمنية عاشها وخبرها جيدا.اذ ان هذه المعاصرة تتيح له،فيما تتيح ان يتعرف عميقا على الكثير من الأسباب والعوامل التي أدت الى مايواجهه من ظواهر في مجرى البحث/١٥-١٦)

×في بحثه (الأدب القصصي..منذ الحرب العالمية الثانية)..يخصص الباحث ثلث الكتاب في قراءة البنية الاجتماعية للمجتمع العراقي بتراتبيتها الاقتصادية/ السياسية/ الأيدلوجية.. وهو بهذا يسلط الضوء،على ماقبل كتابة النص،هذا الماقبل الذي يشكل القوة الدافعة لإنتاجية النص بتنويعاته الاجناسية..والناقد يشخص العلاقة الطردية المؤدية الى التخلف المزدوج في قوله..

(ولم يكن ممكنا لهذا الاتجاه الواقعي أن يبرز قبل هذه الفترة في الأدب القصصي،بسبب تخلف العراق الاجتماعي والفكري في مطلع نهضته الحديثة،لذلك كان ماكتب في الأدب القصصي في العراق،طيلة الفترة الاولى من العشرينات،ومنه إنتاج محمود أحمد السيد القصصي في الفترة من حياته الأدبية في أوائل العشرينات

لايتجاوز هذا النمط من القصص الرومانسي الساذج الذي يسعى الى تقليد روايات الغرام والمغامرات أو روايات وقصص المنفلوطي وجبران وهو نتاج يخلو من القيم الفنية ويتسم بعاطفية مسرفة لاتشف عن نضج فكري/١٨٥/الأدب القصصي في العراقمنذ الحرب العالمية الثانية) كقارىء منتج لأجد منهج النقد الوصفي،بل الناقد هنا يغترف من المنهج الاجتماعي وتحديدا مفاهيم ماكان يسمى ب(المادية التاريخية) وفق الفكر الماركسي.وفي تناوله لجهود القاص والروائي ذو نون أيوب،يكرس فصلا كاملا عن جهوده(١٩٥-٢٦٩) متنقلا من مؤثرات الفكر التقدمي على أيوب،وكيف استعمل الأدب لبث رسالته السياسية،ومشاركة أيوب في المجلس النيابي،ثم ماتعرض له أيوب من أخفاقات ادت الى مغادرته الوطن،هذه المغادرة التي ادى الى تعميق الوعي القصصي لديه والذي جسدته (قصص من فينا) حيث مكث في فينا اربع سنوات..

خلاصة ....بصيغة تساؤل نقدي:

×هل أقترب الناقد عبد الأله أحمد في نتاجاته من كتابة..(تاريخا تأريخيا حقيقيا) وفق مفهوم(دانييل مونيه/١٩٤٠)..الذي يعني..(ان تاريخا تأريخيا حقيقيا،يعني تأريخا لأدب من الآداب في عصر معين وفي علاقاته مع الحياة الاجتماعية لذلك العصر،لكن لكتابته،ينبغي إعادة تكوين الوسط والتساؤل،عمن يكتب؟وإلى من؟ من يقرأ ولماذا؟/٨٢/ كليمان موازان)..

×اشارة..

رسالة من عبد المجيد لطفي

((الاستاذ الفاضل عبد الاله احمد المحترم

تحية طيبة وتمنيات حارة لأنجح الاعمال والدراسات النافعة ولصحة مقيمة. وبعد فقد اسعدت مؤخرا بالحصول على مؤلفك الثمين الجليل النفع الموسوم بـ (نشأة القصة وتطورها في العراق للفترة ١٩٠٨ م – ١٩٣٩م) فاذا بي امام دراسة معمقة وجادة وذات نظرات جيدة ومدركة، ومع اني لم اقرأ الكتاب برمته بعد قراءة دراسة متأملة فانني استطيع ان احكم بجداوه وطيب اورومته مما قرات، فكثيراً ما يدل المجتزأ من الشيء على كله، وليست محض المصادفة هي التي قادتني الى هذا الكتاب الجليل الشان في تاريخنا الادبي بل رغبة غير قليلة في الوصول اليه وان جاء ذلك متأخرا بعض الشيء بالنسبة لي لقد فرحت جدا بالجهد الطويل الصابر الذي انتهى الى حصيلة رائعة فليس بالشيء القليل ان يظفر المرء بكتب من هذا النوع في هذا الايام التي راح الناس فيها – قراء وباحثين – يركضون وراء كل ماهو سهل المأخذ والعطاء، لذلك فان اشعر باكبار حقيقي لمجهودك هذا الذي تم ليس عن الصبر الطويل الدائب حسب بل ايضا عن بصيرة واعية وحس مرهف في التحقيق والتقييم ومنح ما لله لله وما لقيصر لقيصر دون تطفيف، وهذا مالم يتحقق مع اكثر ما كتب في هذا الحقل وليس هذا ثناء قدر ما هو تقرير لواقع لا يمكن اغضاء الطرف عنه. وليس من شك عندي في ان هذا المؤلف قد سد فراغا او انه اضاف جديدا مانعا الى ما سبق فانتهى الجهد الحميم المخلص الى هذا الكتاب الطيب الناجح، واكثر من ذلك انه رجع بي شخصيا الى الوراء بغير قليل من الحزن، فنحن دائما نتطلع الى وراء بقلوب تواقة الى تذكر ما مضى وان كان بؤسا وكدراً وضياعا فالمرء حريص على تذكر ما فقد.

لقد وجدتك مع بواكير قصصي اكثر من عادل، وحتى لكأني ارضيتك بتلك المدارج القلقة حتى حابيتني في بعض احكامك، والحقيقة يا استاذ عبد الاله إني لا اكاد اتعرف على قصصي الماضية وتبدو لي احيانا غريبة وكسيحة وتستحق الشفقة والرحمة، حتى اني فقدت معظم ما كتبت في تلك السنوات البعيدة، وانه من الصعب الوقوف على نقاط التقاء بين قصصي البدائية الساذجة وقصصي الجديدة القائمة على تجربة غنية ومريرة، وليس هذا مدحا لها، فهذا بعض ما تهب الايام لقاء ما تأخذ منا من عمر ثمين.

ولانني اتوق الى ان تتوج مواهبك وبدايتك الدراسية المؤفقة بالدكتوراه في القصة ايضا اتماما للبحث والتاريخ فسابعث اليك عما قريب بمجموعة من قصصي المتأخرة للاطلاع ما وسع الفراغ، فلقد اعطيت يا استاذ احمد للبحث قيمة تاريخية واصالة لنك قرأت ما يستهلك شهورا من الوقت واندفعت بحماسة الشباب في كل مظان الادب المهجور واتحت لنا، نحن الذين فقد معظمنا بواكير ما انتج ان نقع على ما فقدنا لنرى فيها ما كنا فيه وما صرنا اليه، وفينا من ذهب الى اخراه ومنا من ينتظر ولا يكف عن الانتاج والعطاء . بقيت في ملاحظة وددت ان افيها بعض الحق في ما يخص الرومانسية التي رأيت ان قصصي في تلك المرحلة اتسمت بها، فالرومانسية في اعتقادي يا استاذ عبد الاله ليست مرحلة انها امتداد طويل وابدي لإنسانية الانسان، التعبير عن مشاعره بصدق وحرارة، فالرومانسية كانت وستبقى لأنها اصيلة ولصيقة بالمشاعر الانسانية لن الرومانسية احياء او تطبيق للاحكام والاخيلة والراغبات واذا كان الماضي يكسبها طابعا من الشجن بوصف دقائق المشاعر وقيود المجتمع فان العصر الراهن الاكثر مادية وانكشافا في كل شيء هو ايضا عصر رومانسي من نمط جديد، صريح ومنطلق وشجاع في تناول قضاياه الاساسية كالحب وانتزاعه من نزعة التخيلات والبوهيمية ايحانا الى تطبيق جاد وعملي وممارسة مباحة في مجتمعات ابتعدت عن بعض ما تراه رواسب سيئة السيرة، فالرومانسية تحقيق لرغبات انسانية، بالامس كان النداء الواجف في مرحلة القلق والحياء، وهو اليوم نداء جهير لن الناس في شغل كثير والحياة متجعدة وقاسية وبحاجة الى رومانسية منطقية، وهي عندي اليوم رومانسية عملية، واصيلة وإني لأعد نفسي دون ريب بمتعة شائقة في ما تبقى من الكتاب الذي ساقرأه على مهل في موهنات من ليل الشتاء الطويل ما اسعفت الشيخوخة وتحمل الجلد.

بارك الله فيك فتى مؤملاً ومحققا وباحثا عن جذور شيء جديد في الادب هام ومتطور ويجب ان يؤرخ بصدق كما فعلت انت بكتابك الثمين.

ومع اطيب تحياتي ارجو لك كل خير ويمن وعافية.

عبد المجيد لطفي

في ١٩٧٠/١٢/٢٥م

عراقيون

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي

عدنان حسين

نائب رئيس التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

طبعت بمطابع مؤسسة

المدى

للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

عبد الأله أحمد وكتابه (نشأة القصة)

علمية المنهج، سلامة التطبيق، حسن الأستدلال

عبد الجبار عباس
ناقد واديب راحل

((أخي الاعز عبد الاله
تحية الاخوة والود والاخلاص.
يومان سعيدان (اجهزت)! فيهما على كتابك العلمي الممتع واستعدت فيهما النشوة الرائعة التي عشتها خلال سفرة البصرة وبعدها يوم عدت الى مدينتي الصغيرة عامر الروح سعيد النفس بتلك المناسبة الفريدة التي اتاحت لي بعد عزلة مضنية طويلة ان انعم بصداقتك والاخ (فاضل) التي عوضتني عن حرماني في الحلة من لقاء العقول المثقفة والنفوس الصافية الشفافة.
لا اكتمك اني ترددت في الوفاء بعهدي ان اكتب لك عن رأيي في (نشأة القصة) فما الذي ساكتب غير الثناء والاعجاب والحسد على الصبر والمجالدة وغير الاعتراف بان بعض ملاحظاتي الصغيرة عن الرواية العراقية لم تعد الان ملكا لي فقد سبقتني اليها، واني كنت ابحث عن ثغرة هنا او هناك فلا انعم بسوى الاحاطة الشاملة والنظرة النافذة، وهل يحق لي ولم اعرف عن تاريخ القصة العراقية سوى القليل ان اناقش بحثا تكاملت شروطه العلمية، واضاءت فصوله روح العالم الفنان ويقضته؟ ان قلائل يستطيعون ان يطبقوا ويلتزموا بالمرونة النقدية التي تقيم القصة في مرحلتها وان كنت اتمنى لو عرضت في الهامش – مثلا – وبعد ان لم يعد الكتاب رسالة جامعية فحسب رأيك الحقيقي والنهائي في هذه القصص، رغم ان تحليلك النقدي لبعض القصص يشف عنه.
عطاء امين لفتني جوه الحزين المقهور، لو كنت واثقا انه قرا مترجمات عن تشيكوف لجزمت بتأثره به، نفس الملل الرازح والارادة المشلولة والزمن المنسل وغرابة قوانين الحياة المحبطة لاشواق الانسان، والهرب من كل هذا الى العمل كسبيل لقهر الأزمة إن عطاء ليس فقط رائد القصة العراقية بل ورائد الاتجاه الذاتي الحزين الذي درسته عند عبد الوهاب امين، لكني لا اوافقك على انه اتخذ الشكل المسرحي اطارا رغم ان كون المسرحية – انذاك – معروفة يوهم بذلك، بل هي محاولة بدائية – لانها رائدة بلا تراث – في تقديم المكان والزمان القصصيين، فهو لم يتعمد الاهتمام بالافكار دون الحدث والحركة مما ادى الى شحوب الزمان والمكان، بل هو في ظني لم يكن يعرف كيف يقدم الديكور القصصي فاختزله باشرات سريعة تشبه التقديم المسرحي، والسيد حين يقول: (ص٣٨٦) ، (في دار صفوة بك، بعد نصف ساعة، الصريخ بالغ عدنان السماء) ، اتراه كان يقلد الاشارات المسرحية قبل الحوار؟ كلا بل هو يقدم – انذاك – تخطيطا للزمان والمكان في قصته، بدليل ان المسرحيات – انذاك – لم تكن تطبع بل تمثل بديكور هزيل، فلا علم لقصاصي العشرينات والثلاثينات بما حول الحوار المسرحي من ارشادات الكاتب المسرحي الذي لعله هو الآخر لم يعرفها انذاك.
لغة القصة: كنت اود لو تتقصى مؤثرات النثر العربي فيها، فالسيد حين يقول: (ارى اموما لا يقضي عليها فتموت، ولا يقضى لها فتعيش.. اتى الامد على لبد، واخلف لقمان ما وعد، واستأسد الكلب حين استكلب الاسد) فهو لا يتأثر في (الشبح) هذه باسلوب الرؤيا فحسب بل ان لغة القرآن في الفقرة الثانية، والجاحظ في الاولى واضح جدا.
والقصص الخرافية عن الحيوانات بدلالاتها الاجتماعية والسياسية الضمنية الا تثير سؤالا عن علاقتها بكليلة ودمنة الى جانب علاقتها بالخرافات الشعبية؟
حين تتذكر هزال وتفاهة قصص انور شاؤول فان قراءاته واهتمامه بالقصة لا تبيح لنا القول بتأثره بالقصة الفرنسية واقلمة الشكل الموبساني رغم اني اعرف ان هناك تطبيقات مشوهة لموبسان في القصة العربية، فالصيغة الموبسانية نجد تأثيرها الكامل في (قاتل يتألم) ممتزجا بتأثير شكسبير حين تقول الاخت القتيلة: انت حسن ايضا؟ ونجد تأثيره باهتا في (ليلة كؤوس وذكريات) نفس جو الحانة والاستعادة الحزينة لمأساة شخصية قديمة ثم العودة الى جو البداية.
تمنيت ان تعقد فصلا عن (النقد القصصي)، فرغم اضطراب المصطلح النقدي والتأثر الشخصي العاطفي بالمترجمات دون الفهم النظري المتكامل فان بعض (الملاحظات القيمة) التي اشرت اليها في الهوامش تدل على ان هناك من يطتلب للقصة شروطها ويمتلك عنها فهما طيبا، لذا تمنيت لو عرفت ان كان ثمة نقد قصصي في هذه المرحلة، ما اسسه؟ ما مصادره؟ ما تطبيقاته؟ هل كان له تأثير في مسار القصة العراقية التي تبدو كما لو كانت خاضعة للصدفة العشواء، فلكل كاتب تقريبا قصة جيدة لا يعقبها إلا بالغت الهزيل، وهذا يثير قضية مدى الاطمئنان الى ان ثمة تطورا تاريخيا واضحا للقصة العراقية، في رأيي ان هذا التطور الذي لا شك فيه يتلمسه الباحث ويكتشفه المؤرخ الناقد ولم يحس به معظم القصاصين احساسا واضحا واعيا، وهو تطور بطيء جدا تكتنفه في كل مرحلة كل مثبطات المرحلة السابقة واخطائها، السنا اليوم نقرأ مجاميع في مستوى قصص العشرينات؟

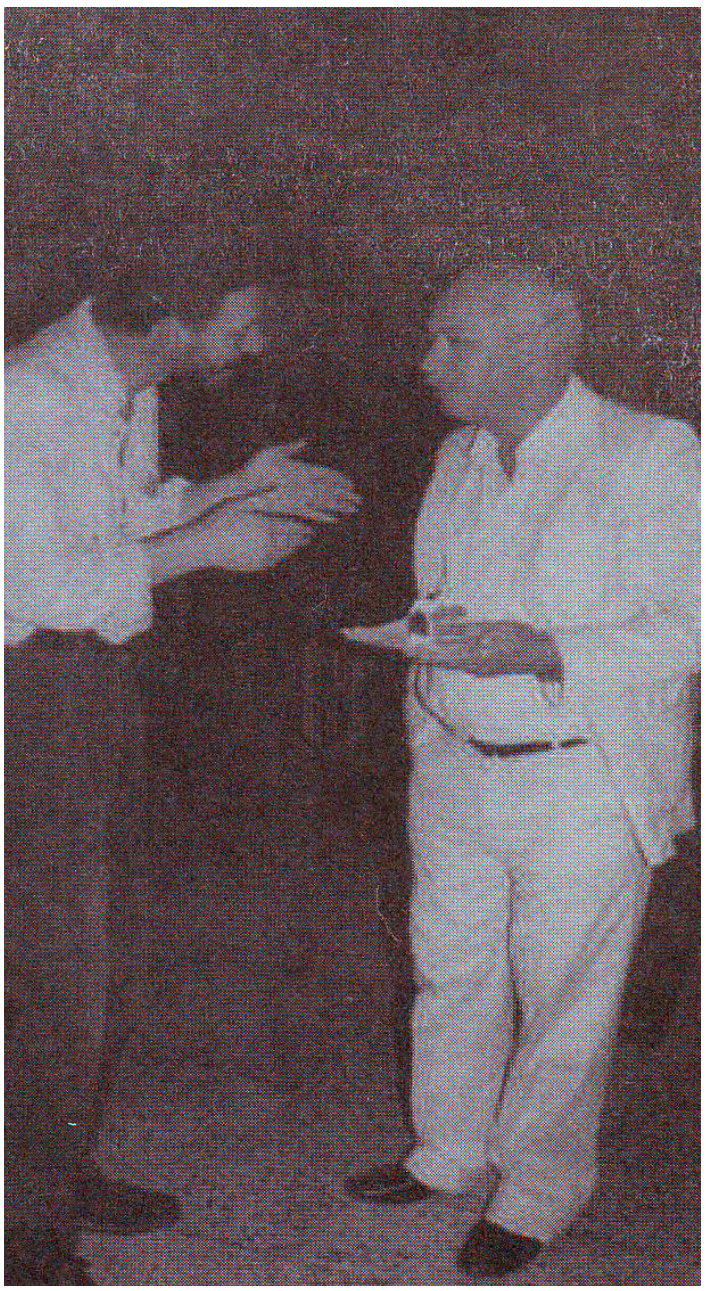

نديم الاطرقجي بهرتني منه (احلام الطفولة) وكم تمنيت لو لخصت على الاقل قصصه الثمان او اثبت في الملحق قصته، وتمنيت وقفة اطول عند يوسف متي وشالوم درويش.
جعفر الخليلي لم يكن في رأيي متأثرا بالقصص والحكايات الشعبية التي لا تخلو كنوزها في الريف خاصة من متعة فنية، بل هو قصاص (النكتة العامية) التي يسخر فيها الخليلي من معتقدات العامة بينما هو عندي تشرب واحب هذه المعتقدات فهو ابنها وممثلها وناقده معا في القصة العراقية.
ذو النون ايوب، كان بمستطاعك ان تقف عند هويته البرجوازية في ثلاثينات العراق: التاكيد على ابن الطبقة الوسطى، المتطلع العلمي، المثقف الواثق (الا يذكرك ببطل الاباء والبنون) الذي يخوض صراعا تعكسه (اليد والارض) ضد الاقطاع وحيلفته البرقراطية الفاسدة، محتضنا في الوقت نفسه امال العمال والفلاحين وصغار البرجوازيين الذين لم ينجبوا انذاك فكرا سياسيا يمثلهم، في صراع ضد الجناح المتفسخ اللااخلاقي من طبقة ايوب نفسها في (الدكتور ابراهيم)، ذلك الصراع الضاري الذي قد يؤدي فيما بعد وبالغرابة، الى لحظة عطف صادقة على احد نماذج ذلك الجناح في (عاصفة وصداها) فقد اثمرت عاصفة الغضب صدى دافئا من الحنان والرحمة.
كنت دوما وما ازال اتمنى ان امتلك صبرك على قراءة القصص الرديئة فادرس ايوبا من هذه الزاوية، لقد كان تحليلك رائعا لتأثير واقع التطور الاجتماعي في ضعف قصة العشرينات المبكرة، ولكنك – ولا ادري لماذا – لم تواصل بنفس التحليل العلمي للفصل دراسة تأثير التطور الاجتماعي في المراحل اللاحقة، فلا شك ان (الطبقة الجديدة) التي لم تولد في العشرينات فلم تمارس دورها التقدمي قد ولدت في الثلاثينات وتمت في الاربعينات وكان ايوب – بوعيه او بدونه – صوتها في القصة او المقالة.
تلك هي كل تمنياتي الصغيرة حول كتابك النفيس الذي كشف لعيني تفاصيل مرحلة كاملة لا في القصة العراقية بل وايضا في الارض الحضارية التي تحركت فوقها، فانا مقتنع كل الاقتناع بعلمية المنهج وسلامة التطبيق وحسن الاستدلال ، ولست اشك اني لو تفرغت لإنجاز مقالاتي عن الرواية العراقية المعاصرة فان في (نشاة القصة) سندا راسخا وتاريخا مفصلا وخبرة غنية ما كان اشد حاجتي ايها، لقد تاكد لي ان باب الاجتهاد اقفل وراء من قد (تسول له نفسه!) ان يتناول هذه الفترة، ويسعدني شخصيا ان تواصل دراستك للقصة العراقية بعد الحرب فما اكثر ما اتوقعه من متع وفوائد في هذه الدراسة، ان سنحت لي فرصة ساسعد بصحبتك في بغداد خلال الاسبوع القادم مع الاخ (فاضل) الذي ارجو لو التقيت به ان تبلغه تحياتي ورجائي ان يعيد النظر فيما كتبه عن مخلوقات فاضل العزاوي المشوهة قبل نشره، فهذه الجثث المشوهة لا تستحق ان يبدد فاضل ذكاءه وثقافته وحسن نيته معها، واتمنى لو تبلغه رجائي بان يعيرني لايام كتاب رشاد رشدي (فن القصة القصيرة) ان كان يمتلك منه نسخة فاني بحاجة ماسة اليه.
هل قرأت مقالة (المجلة) عن قصص ابو النجا؟ يسعدني ان اتعلم من ارائك السديدة فيما احاول.
إلى لقاء قريب ودمت لاخيك المحب.
امضاء عبد الجبار عباس)).
الحلة – ١٩٦٩/٥/٢١ م.